خالد بن عمر
الفقيه
٢٦/٥
١٤٢٥

كتاب سلوان المطاع
في عدوان الأتباع

تأليف الشيخ الكامل
جمال الدين محمد
بن محمد بن ظفر
رحمه الله
تعالى
آمين

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبي ونعم الوكيل
قال الفقير الى الله تعالى والغني به محمد بن الحسن بن ظفر
عفا الله عنه ان شكر الله لاسنى الملابس الفاخرة وان
حمده لاعود لخير الدنيا والاخرة فالحمد لله جاعل الصبر
للنجاح ضمينا والمحبوب في المكروه كمينا الذي ضرب
دون اسرار الاقدار حجابا مستورا وقضى ان الخير على
الفجار محجورا واوطى لمستسلمين بقضاياه مهودا
وثيرا واوطى لمتبرمين بقضاياه كبودا ثبورا
وقال سبحانه وعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا وصلى الله على المرسل شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اسمه محمد
المصطفى وسلم تسليما وبعد فان لما البه اضطراب الاغتراب
وانتياب الاكتياب ان اظفرني الله وله الحمد
بمواخاة مقيل عثرات السادة السراة ومقبل انفس
الحسدة حسرات سابق السادة وقايد القادة ابي
عبد الله محمد بن ابي القسم بن علوي القرشي بارك الله فيهما

اللهم

اللهم كسبه وكان وليه وحسبه فلقد انزل الدنيا بدرك منزلتها وكوشف
بترك مزلتها فعمل للبقا لا للفنا وجاد لله لا للثنا وجمع المحمود الافنا
وعلى ربه واحب التعاون على البر والتقوى لا للتهافت في هوى
الهوى ورزان الرياسة بنفس لا تضيق بنازلة ذرعا ولا تصغي الى
الوشاة سمعا ولا تدنس بطمع طبعا وحلم لا يرفع الغضب
لعينه راسا وحزم لا يخاف له معه باسا فالحمد لله الذي
اباحني من احسانه حمى منيعا وحرما امنا ومرتعا مريعا

شعرا

فنحن بعرفه فيما اشتهينا ** واحببنا وما اخترنا وشينا
بقينا ما بقينا وان ظعنا ** به خبرا اراناه يقينا
نميل على جوانبه كانا ** اذا ملنا نميل على ابينا

فاقسم لولا ان الشكر عقد شرعي وحق مرعي لا قومت لبطي ما
نشرت والتورية عما اليه اشرت اذ كان وفاني الله بعده ولا
ابقاني بعده يرى ان الشكر في الهبة ندوب والمدح في خواص
اوليائه ذنوب فلا زالت يد التوفيق له ناصرة وخطا
النوايب عنه قاصرة ومكانه العليه فاخرة ومكائد
الاعداء له داحرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
الاكرمين وسلم عليه وعليهم اجمعين ولما كانت الهدايا
تزرع الحب وتضاعفه وتقتضي الشكر وتضاعفه احببت
ان اهدي اليه هدية فايقة رايقة تكون عنده نافقة وبقدره
لايقة فلم اجد ذلك العلم الذي شغفه حبا والحكمة التي

لم يزل بها صبا والادب الذي استوعبه مولدا وكسبا واستعمله
حلبا وقلبا فاتحفته باساليب الغاية في احكام ابه وهو كتاب
ضمنته احدا عشر سلوانا تفضي بسالكها الى العلم النافع بالظاهر
والمستنبط في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الاية ثم شفعته بالمشي لاستنشاق
المعونة والاشراق وهو كتاب استوعبت به ذينكا لنا ليفين
المشرقين مشفوعة بنخب براهينهما ثم عززتهما
بدرر الغرر وهو كتاب انتظمت به درر ابناء نجباء الابناء
فاودعته منها ما عز مطلبه وبهرت حكمته وحسن ادبه ثم
رشفت بكتابي هذا وهو كتاب عمدت فيه الى امثلة استاثر
خواص الملوك ببضاعتها وسعتهم الغيرة من اذاعتها فتوسعت
بالتعبير بالفاظ عنها والتحبير لمعاني بها والتفنن بقوي فنني
فيها توسعا لا يحظره شرع ولا ينبو عنه سمع حتى اذا عادت
اهلتها بدورا اربعة واصنت ودنها عما يا نعه نفثت في
صورها ارواح الاخلاق الزكية وكسوت جسومها حلل
الادب الملوكية وتوجت روسها بتيجان الهمم الابية
وقلدت عواتقها بسيوف المكايد الحربية فصدرتها
باي من التنزيل المحكم واحاديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم
الى ما يلي ذلك من منثور الحكم وموزونها وابكار الاداب
وعونها فبرزت روضة للقلوب والاسماع وسميتها سلوان
المطاع في عدوان الاتباع وهي خمس سلوانات السلوانة الاولى

في

في التفويض والسلوانة الثانية في التاسي والسلوانة الثالثة
في الصبر والسلوانة الرابعة في الرضى والسلوانة الخامسة
في الزهد وانا ارغب الى الله سبحانه في الامداد بالسداد
والارشاد الى نفع العباد فيه الحول والقوة وله الطول
والمنة ~~السلوة~~

السلوانة الاولى وهي سلوانة التفويض

قال الله تقدست اسماوه فعسى ان تكرهوا شيا وهو خير
لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون فاستوقف من عقل امره عن الاقتراح عليه
وافهمهم ما يرضاه من التفويض اليه فالعالم تارك الاقترا ح
على العالم بالصلاح ووجه الندب الى التفويض من هاتين
الايتين انه اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب والمحبوب
قد ياتي بالمكروه فالاولى بذي البصيرة ان لا يامن المضرة بالمسرة
ولا ييأس من المسرة بالمضرة فيستخير الله سبحانه ولا
يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد من الله صرف
البلاء واللطف في مكروه القضا وهذا اعاما الله سبحانه

مومن ال فرعون حين فوض امره الى الله سبحانه وتعالى وذكر ما بلغنا
انه كان من قرابة فرعون وخواص اصحابه وكان وزرا فرعون
وبطانته قد فطنوا لايمانه واتباعه موسى عليه السلام
فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يبعد فيهم وعطفته على ذلك المومن
القرابة ولما ظهرت ايات الله سبحانه وتعالى على يد موسى عليه السلام
بحضرة فرعون جمع بطانته ووزراه وفيهم ذلك المومن
فشاورهم في امر موسى عليه السلام فاتفقوا على ان الواجب
مطاولة موسى وجمع السحرة لمنا ومنه وكان راى فرعون
معاجلة موسى بالقتل وبذلك اخبر الله سبحانه في قوله قالوا
ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار
عليم وقال عز من قايل عليم وقال فرعون ذروني اقتل
موسى الاية ولما اطلع وزراه على رايه في موسى عليه السلام
امسكوا عن مراجعته هيبة له واشفق ذلك المومن ان
يبطش فرعون بموسى ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات
من ربكم ثم كانه استقال فراجع التقية والحذر والتوريه
تعالى

عليه السلام فحصل غرضه وما فوض الى الله فقال اتقتلون رجلا

فقال ما اخبر الله عنه وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلما سمع فرعون
مقالته غضب وامر به فسجن ثم شاور فيه بطانته
ووزراه في امره فاشاروا بان يبسط عليه العذاب
ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رايه فكره فرعون
ذلك وعطفته عليه القرابة وامر وزراه ان يصيروا
الى ذلك المومن فيعظوه وينصحوه ويامروه بمراجعة
ما كان عليه من الطاعة ويخوفوه عاقبة خلافه ففعلوا
ذلك فلما سمع مقالتهم دعاهم الى الله واذكرهم
ما عاينوه من الايات وحذرهم زوال نعمة الله عنهم
وقال ما اخبر الله عنه وهو قوله تعالى ياقوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار وياقوم اني اخاف عليكم
يوم التناد الاية وقال ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات
الاية وقال فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله
ان الله بصير بالعباد فعاد القوم الى فرعون فاخبروه

عن المؤمن يثبونه على المنافقة والمنابذة والمعصية
لفرعون وان النصح لم يزده الا تماديا على امره فساء ذلك
فرعون وشق عليه وخلا بنفسه يتفكر في امره فاتته ابنته
فسالته عن امره فاطلعها عليه فقالت ان عندي لك الفرج
مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك وذوي قراباتك فانه
على ما تحب ولكنه لما راى موسى قد امتنع بالسلطان الذي في
عصاه وان قتله مجاهرة غير ممكن تظاهر بما انكرته عليه
ليخادع موسى بذلك ويتمكن من مداخلته ومخاتلته وقتله
غيلة فكلما رايت وسمعت انما هو مكر لموسى وما
منعه ان يطلع وزراءك على ذلك حين ذهبوا اليه الا انهم
اهل نميمة وحسد وبغي لم يطيقوا على مثل رايه ونصحه
فسر فرعون بذلك والقى الله في نفسه تصديقها وقيل ان
اسية امراة فرعون هي التي امرتها بذلك فاحضر فرعون
ذلك المؤمن واعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت ما
انت قاصد اليه وساع فيه فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل

ما

ما بدا لك ان تفعله فلست اهملك قال تعالى فوقاه الله سيئات ما
مكروا فهذه الوقاية هي ثمرة ذلك التفويض ثم قال ربنا
تبارك وتعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما
ارادوه بذلك المؤمن من التعذيب وان كان عذاب الاخرة لا يجتمع
مع عذاب الاخرة الا في التسمية وهذا كقوله سبحانه وتعالى ولا
يحيق المكر السيئ الا باهله واعلم رحمك الله واياي ان حقيقة
التفويض التسليم لاحكام الحكيم وهو الذي دل عليه المصطفى
صلى الله عليه وسلم بقوله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فاس التفويض والباعث عليه انما هو
اعتقاد انه لا يكون من الخير والشر الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض
ممن لم يعتقد ذلك ويتدين به وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم
في التصريح به والنص عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك ما قدر
ياتك وما لم يقدر لم ياتك واعلم رحمك الله واياي ان الخلق لو جهدوا
ان ينفعوك بشي لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك قال
صلى الله عليه وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما قدر ياتك الى اخر
الكلام بيان للعلة التي من اجلها فوض العقلاء وسلموا الى الله عز وجل
ونحو ذلك ما رويناه في مسند مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي
هريرة في كلام قال له ان اصابك شي فلا تقل لو فعلت كذا وكذا لكان
كذا وكذا ولكن قل قدر الله تعالى وما شا فعل فان لو تفتح عمل
الشيطان لعنه الله فدل على التفويض والتسليم الى الله تعالى ويقتضي
التعريض على قدرة الله تعالى والتعاطي لرفع مشيته ومما رويته

من صحيح مسلم عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك فتوضى وضوءك للصلوة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك لا منجا ولا ملجا منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت الحديث

اسجاع وابيات حكمية في التفويض

معارضة العليل طبيبه يوجب تعذيبه انما الكيس الماهر من استسلم في قبض القاهر اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن اعوان نفوذه الحيلة اذا التبست المصادر ففوض الى القادر ان من الدلالة على ان الانسان مصرف مغلوب ومدبر مربوب الكون ان ينباله وان فيه بعض الخطوب ويعمى عليه الصواب المطلوب فاذا كان ذلك فان تدميره في تدبيره واغتياله في احتياله وهلكته في حركته **كما قيل** كان الحجاج بن يوسف اذا تعارضت اراوه في خطب من الخطوب انشد

دعها سماوية تاتي على قدر ۞ لا تفسدنها براي منك منكوس

وفي ذلك قلت شعرا

ايا من يعول في المشكلات ۞ على ما اراد ودبره
اذا اشتكل الامر فابرا به ۞ الى من يرى منه ما دبره
فكم بين عطف يقيد الخوف ۞ ولطف يهون ما قدره
اذا كنت تجهل عقبى الامور ۞ وما لك حول لا مقدره
فلم ذا العنا وعلام الاسى ۞ وفيم الحذر وفيم الشره

وفي ذلك قلت شعرا

فيا رب مغتبط ومغبوط ۞ براي فيه هلكه
ومنافس في ملك ما ۞ يشقيه في الدارين ملكه
علم العواقب دونه ۞ ستر وليس يرام هتكه
ومعارض لاقدار الاراء ۞ سيئ الحال ضنكه
فكن امرا محض اليقين ۞ يزيف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده ۞ وعناد المقدار شركه

روضة رائقة ورياضة فائقة

قيل لما بلغ الوليد بن يزيد ان ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد دعى عليه الصدور ونزع عنه القلوب واستمال اليمن عليه ونازعه دار ملكه ساعيا في هلكه استوحش من بطانته واحتجب عن سماره فدعا في عشية من عشاياه خادما له فقال انطلق متنكرا فقف في بعض الطرق وتامل من يمر بك من الناس فاذا رايت كهلا رث الهيئة والملبس يمشي هوينا وهو مطرق فسلم عليه وقل له ان امير المومنين يدعوك فان اسرع الاجابة فاتني به وان نكل او عارض او استراب فدعه واطلب غيره

حتى تاتيني برجل على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم
فاتاه برجل على ما وصف وشرط فلما دخل الكهل على
الوليد بن يزيد حياه بتحية الخلفا وقام فامره الوليد
بالدنو والجلوس وامهله الى ان ذهبت روعته وسكن
جاشه ثم اقبل عليه فقال له اتحسن مسامرة الخلفا
فقال الكهل نعم احسنها يا امير المومنين فقال له الوليد ان
كنت تحسن المسامرة فاخبرنا ما هي فقال الكهل المسامرة
اخبار ننصت وانات لخبر ومفاوضة فيما يعجب ويلهي
فقال له الوليد احسنت ايها الرجل لا اريد لك امتحانا
فقل ننصت لقولك فقال الكهل يا امير المومنين ان المسامرة
صفتان لا ثالث لهما احدهما خبر بما يوافق خبرا اسمعوه
والثاني اخبار بما يوافق غرضا مقترحا واني لم اسمع
بحضرة امير المومنين حديثا فاخذوا على مثاله ولا
اقترح على امير المومنين سلوك طريقة فانحو نحوها
والزم اسلوبها فقال له الوليد صدقت وها نحن

نقترح

نقترح عليك ونرسم لك رسما تقتفيه انه بلغنا ان
رجلا من عبيدنا سعى فيما يضيم ملكنا فاثر سيفه
وشق ذلك علينا وبلغ منا فهل منا الى علمك فقال الكهل
نعم فقال الوليد قل الان على حسب ما تمليه البديهة
وعلى حسب ما نرضى من التبيين فقال الكهل ايا امير
المومنين بلغني ان امير المومنين عبد الملك بن مروان
لما ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بعسكر
متوجها الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد
من الشام وكان عمرو بن سعيد قد انطوى على دغل نيته وفساد
طويته وطمعا في نيل الخلافة وكان امير المومنين عبد الله
بن مروان قد تفطن لذلك الا انه نبقى عليه لتاكيد حرمته فلما
فصل امير المومنين عن دمشق وسار عنها اياما واستمر به
السير تمارض عمرو بن سعيد فاستاذن امير المومنين في العود
الى دمشق فاذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد
المنبر وخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة ودعا

الناس الى خلعه فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق
وحصن سورها وسد ثغورها وبذل الرغائب فبلغ عبد
الملك وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه ان والي حمص قد نزع
يده من الطاعة وان اهل الثغور قد تشوفوا للخلاف وخرج
على وزرائه وبيده مخصرة يضرب بها عطفته فاطلعهم
على ما بلغه فقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى
عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير وقد استولى
على الحجاز والعراق ومصر واليمن وخراسان وهذا النعمان
بن بشير امير حمص وزفر بن الحرث امير قنسرين
وناتل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم من
الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل
الثغور الى الخلاف وهذه المضرية بسيوفهم على عواتقها
تطالبنا بقتلى المرج فلما سمعوا وزراه مقالته
ذهلت عقولهم وعلموا ان لا مصدر ولا مفر فنكسوا
رؤسهم ولم ينطقوا فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون

احصرون

احصرون غناكم في هذا وقت الحاجة اليكم فقال له افضلهم اي غنا
عندي في هذا اوددت اني والله لبنت حجرا على عود من اشجار تهامه
حتى تنقضي هذه الفتن فلما سمع عبد الملك مقالة ساجد علم ان
لا غنا عند وزرائه فقام عنهم وامرهم بلزوم مواضعهم وركب
من فوره وامر جماعة من شجعان اصحابه وفرسانه ان يركبوا في
السلاح ويتبعوه متبعدين عنه بحيث يرون اشارته اذا اشار
اليهم فيفعلوا ذلك وسار عبد الملك واتبعه القوم على ما رسم
لهم فلم يزل سايرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف البدن
سيى الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه عبد الملك وانسه بحديث
خفيف ثم قال ايضا الشيخ الك علم بمنزل هذا العسكر فقال
الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا فقال له عبد الملك هل سمعت
شيئا مما يقولوا الناس في امرهم فقال الشيخ ما سوالك عنه فقال
عبد الملك اني اريد اللحاق به والدخول في اصحابه والتعرض لحظ
عنده فقال الشيخ ما اعطاه اياك ادبا وصيانة واحسبك حسبا
سويا هل تحب ان انصح لك فيما انت قاصده فقال عبد الملك ما
تقول فقال الشيخ ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الراي الذي ترغب
اليه فان الامير الذي انت قاصده قد انحلت عرا ملكه وتبدد
اتباعه واضطربت اموره وان السلطان في حال اضطراب اموره
كالبحر في حال هيجه لا ينبغي ان يقرب فقال عبد الملك ايها
الشيخ ان الحكمة لم تبلغ بي مغالبة نفسي في كل ما ترغب اليه
واني اجدها تنزع الى صحبة هذا الامير نزوعا شديدا ولا بد

لي من ذلك فهل لك ان تحسن الي فتخبرني بما تراه من الراي بهذا
الامير في تدبيره هذه الخطوب التي دهمته لاعرض ذلك الراي عليه
وانقويه عنده لعله ان يكون سببا لفرجي منه فقال الشيخ ان حكمة
الله وعزته ليقضيان بحجب العقول والاراء عن النفوذ في بعض
النوازل واظن هذه النازلة التي نزلت بهذا الخليفة من النوازل
التي لا تنفذ فيها العقول ولا تهتدي الى صواب تدبيرها الراي واني
لاكره ان ارد مسالتك بالخيبة فها انا اقول فيما سالتني عنه قولا
اقضي فيه حق رغبتك وان كنت لا اثق بنفسي فيه فان الخطب
عظيم جدا والخطر في تناهي عظمه فقال عبد الملك فجزاك
الله خيرا فاني لارجو ان يسددك الله ويرشدك ويرشدني
بك الى الفلاح فقال الشيخ ان هذا الخليفة خرج لمحاربة
عدوه فظهر في مشية الله انه لا يريد ما قصد له والدليل
على ذلك ان الله لم يرد قصده لمحاربة ابن الزبير انه قطعه
عن التمادي بما احدثه في دار مملكته من وثوب عمرو بن سعيد
بن العاص على منبره واستفساده لرعيته واستيلائه على
بيوت امواله وسرير خلافته واني مشير عليك بتفقد
حال هذا الامير وانتظار ما يكون منه فان رايته قد غادر
فيما خرج له واصر على قصد ابن الزبير فاعلم بانه مخذول
لان الله سبحانه قد ظهر من حكمته امرا اقطعه عن التمادي
لما خرج له فابى الا لجاجا وان رايته قد رجع من حيث جا
وترك ما كان عليه قصد له فارج له السلامة لانه مستقبل

من راجع

من راجع والله سبحانه اهل ان يقبل من استقاله ويرحم من رجع اليه فقال
له عبد الملك ما احسن ما قلت وهل رجوعه الى دمشق الا كمسيره الى ابن الزبير
اذا كان من حكم الله ومشيته ان يقبض عنه قلوب رعيته الذين بدمشق
عن مواليه ويبسط ايديهم بالبيعة لغيره فمسيره الى ابن الزبير كرجوعه
الى عمرو بن سعيد بن العاص لان كل واحد منهما خارج على مملكته
منتزعة رعيته مطيعة فقال الشيخ ان الذي اشكل عليك لواضح
بين وها انا ازيل عنك اللبس ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير
كان في صورة ظالم له فان ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب
له على مملكته وهو اذا قصد عمرو بن سعيد فانه نكث بيعته
وخان امانته وافسد رعيته وحملهم على النكث والغدر ووثب
على دار ملك لم تكن له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه
من قبله وعمرو بن سعيد عليها متعديا ولها مغتصب وكان
يقال سمين الغضب مهزول ووالي الغدر معزول وكان
يقال جيش العدوان مفلول وعرش الطغيان مثلول وسأضرب
لك مثلا يزيل ما في النفس وينفي اللبس واودعه من فقر
الحكم ما يشحذ الفطن والالباب ويسفر عن وجه الصواب
زعموا ان ثعلبا كان يدعى ظالما وكان له جحر يأوي اليه وكان
هسطا مغتبطا به لا يبتغي عنه حولا فخرج عنه يوما
يبتغي ما ياكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها عنه فلم
تخرج وعلم انها قد استوطنته وذلك ان الحية لا تتخذ
محارا وتدخل الحجرة فتغتصبها وتطرد عنها ما كان فيها من

من الحيوان قال الراجز يصف رجلا بالظلم
وانت كالافعى التي لا تحتفر ثم تجي ساردة فتنجحر
ولهذا يقال فلان اظلم من حية فهذا اظلمها فلما راى ظالم ان الحية
قد وطنت جحاره ولم يمكنه الكون معها ذهب يطلب
لنفسه ماوى فانتهى به التطواف الى جحار حسن الظاهر حصين
الموضع في ارض خصيبة ذات اشجار ملتفة وماء معين
فاعجبه وسال عنه فاخبر ان ذلك الجحار لثعلب يدعى
مفوضا وانه ورثه عن ابيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب
به وادخله الجحار وساله عما قصد له فقص عليه خبره وشكا
اليه ما ناله فرق له مفوض ثم اقبل عليه فقال له ان من الهمة
ان لا تقصر عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك في ابتغاء
دفعه وهلكه فانه كان يقال من هيب عدوه فقد جهز الى
نفسه جيشا وكان يقال رب حيلة انفع من قبيلة وكان يقال
الموت في طلب الثار خير من الحيوة في العار وكان يقال اذا
طالبت عدوك بالقوة فلا تقدم عليه حتى تعلم ضعفه
عنك واذا طالبته بالمكيدة فلا يعظمن عندك وان كان
عظيما والراي عندي ان تنطلق معي الى ماواك الذي انتزع
عنك حتى اطلع عليه فلعلي ان اهتدي الى وجه المكيدة
في تمكنك منه فان افضل الراي ما اسس على الروية
وقيل ان الراي يفسد بثلاثة اسباب احدها ان تكثر
الشركاء فيه فاذا كان ذلك انتشر التدبير وبطل والثاني
ان

ان يكون الشركاء متحاسدين فيدخل الهوى والبغي فيفسد والثالث
ان يملك التدبير من غاب عن الامر دون من باشره وشاهده
فاذا كان ذلك دخله عند المباشرة الحاضر فوت الغرض ثم
ان تدبير المسموعات مؤسس على ظنون الخبر وتدبير
المبصرات مؤسس على يقين النظر قال فانطلقا معا الى ذلك الجحار
فتامله مفوض وعلم ما اراد علمه من امره ثم اقبل على ظالم فقال
له قد شاهدت من امر مسكنك ما فتح لي باب المكيدة وسفر لي عن
وجه الراي فيه فقال له ظالم اطلعني على ما ظهر لك فقال مفوض
ان اضعف الراي ما سنح في البديهة وكان يقال الراي مراة العقل
ولما كان امضى السيوف ما بولغ في ارهاف حده واجيد صقله
وان انجح الاراء ما كثر امتحانه واطيل تامله وكان يقال كل راي لم
يتمحص فيه الفكر ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام فقال له مفوض
انطلق معي فبت الليلة عندي لانظر ليلتي هذه فيما سنح لي من
المكيدة ففعلا وبات مفوض متفكرا طول ليلته في ذلك وجعل
ظالم يتامل مسكن مفوض فراى من سعته وطيب تربته وحصانته
وكثرة مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر
الحيلة في غصبه ونفي مفوض عنه وكان يقال اللئيم كالنار كرمها
في اضرامها وكالحمر جبستها سلبها وتبيعها صريعها وكان يقال
اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك الاحسان لها دفعا وكان يقال
العاقل يقدم التجربة على التقريب والاختبار على الاختيار
والثقة على المقة فلما اصبحا قال مفوض لظالم اني رايت

ذلك الجار لموضع بعيد من الشجر والما فاصرف نفسك وهلم اعينك على
انتجار مسكن لهذا المكان المتيسر الموافق فقال له ظالم ذلك لا يمكنني
لان نفسي لا تطيب بفقد الوطن حنينا ولا ملك مع فقد
السكن سكونا وكان يقال ذلا بل الوفا سبع بر الاباء والامهات
وصلة ذوي القرابات والنزاع الى الوطن والجزع لفقد السكن والحنين
لاخلاف الشباب والصبر على هرم الدواب وكان يقال الغريب ميت
الاحياء فلا عادة لمن لا بعد حين وقيل ان اسم الغربة
مجموع من اسما داله على حصول الغربة فالغين من عذر
وغيبة وغبن وغم وغلة وهو مرارة الحزن وغيره وغول
وهي كل مهلكة والرامن زرع فرزع وهو الهلاك والباس بلوى
وبوح وهي الواهبة وبوار وهو الهلاك والها من هون وهول
وهم وهلك فلما سمع مفوض مقالة ظالم وما نظهر به من الرغبة
في وطنه قال له الراي ان تذهب فنحتطب حطبا ونربط منه
حزمتين فاذا اقبل الليل انطلقت الى بعض هذه الخيام فاخذت
قبس نار واحتملنا الحطب والقبس وقصدنا الى مسكنك فجعلنا
الحزمتين على بابه واضرمناهما نارا فان خرجت الحية احترقت
وان لزمت الجحار احرقها الدخان فقال ظالم نعم الراي هذا
فانطلقا فاحتطبا وربطا حزمتين بقدر ما يطيقان حمله
ولما جا الليل وطلع القمر واوقد اهل الخيام انطلق مفوض لياخذ
قبسا فعمد ظالم الى احدى الحزمتين فاطعمها موضع قبسها
فيه ثم احتمل الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض وادخله

وحزنها

حزنها وادخلها في الباب فسدها وقدر في نفسه ان مفوضا اذا اتى
الجحار لم يمكنه الدخول اليه لحصانته ولان بابه مسدود بالحطب
فيحتاج ان يرجع ويطلب مسكنا غيره وانا اخلص بالمكان ... فاذا ابعد منه ذهب
فنظر لنفسه ما اراد وقد كان ظالما يرى في حال مفوض ان يجهد ادخرنا
مفوض لنفسه فعول ظالم على الاقتباس منها من الحصان
وكان يقال الشره والحرص والبغي من فساد هذا الراي وانه متعرض
لمثل ما عزم عليه مفوض بفعله الجيد وكان يقال احترس من تدبيرك
على عدوك كاحترازك من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر
ومكروه ساقط في البير التي احتفر وجريح بالسلاح الذي شهر
ثم ان مفوضا جا بالقبس فلم يجد ظالما وكان وجد الحطب فظن
ان ظالما قد احتمل الحزمتين معا تخفيفا عنه وانه بادر بهما
نحو الحية اشفاقا ان يأتي مفوض فيحمل احداهما فيشق ذلك عليه
وظهر له من الراي ان يترك القبس ويبادر اليه ليحمل معه الحطب
فالقى القبس من يده ثم ذكر ان تنفذ النار فيحتاج الى طلب قبس
اخر فادخله في باب جحار ليستره بذلك فاصاب الحطب فاضرمه
النار فاحترق ظالم وجحاره بمكره فلما اصبح اطلع مفوض على
امر ظالم قال ما رايت كالبغي سلاحا اكثر عملا في معتمله
ولهذا قيل الباغي باحث عن حتفه بظلفه وسترد في مهاوي
تدبير مساوي تدبيره وقيل ما اجتمع الملك والبغي الا خلا
وقيل ما اعطى البغي احدا شيئا الا اخذ منه اضعافه ثم ان
مفوضا امهل حتى طفئت النار واستخرج جيفة ظالم فالقاها

وقيل كم عاقل ... [illegible] ... على البطالة ... قال ... ×

واوطن مجاوره على حالة نخط وادتراس واستعداد لكيد الكايد من **فمنهم**
مثل عمرو بن سعيد في تغيبه ومحادثته عبد الملك ومخالفته الى دار مملكته
وتحصينه فيها وقد كان عبد الملك في مخرجه الى محاربة ابن الزبير
عاملاً فيما يويد عمرو بن سعيد فيقا الملك في اهل بيته اذ كان عن عبد
الملك عن لعمرو بن سعيد ومؤكد ملك له فلم يرضى عمرو بن سعيد ولا اعانه
على مصلحة نفسه وبعل كفعل ظالم مع مفوض سوا **قال** فلما سمع
عبد الملك ما ضربه الشيخ من المثال واستبصر فيما اودعه من الحكم سره
بذلك سروراً شديداً ثم اقبل على الشيخ فقال له جزيت خيراً فقد
عظمت يدك عندي واني لاود ان يجعل بيني وبينك موعداً وتذكر
لي مكاناً لالقاك به بعد يومي هذا فقال له الشيخ وما الذي تريد بذلك
فقال عبد الملك اني اود ان اسع برايك عند الامير فاكافيك على ما
كان منك فقال الشيخ اني اعطيت لله عهداً ان لا اتحمل منة
لبخيل فقال عبد الملك ومن اين علمت بخلي فقال الشيخ كيف لا اعلم
ذلك وقد ارجات صلتي ومكافاتي مع القدرة عليهما هما عليك لو
وصلتني ببعض ما ارى عليك من السلاح والبزة السنية فقال
عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال اقبل مني
سيفي هذا ولا تخدع فيه فان قيمته عشرون الف درهم فقال الشيخ
اني لا اقبل صلة ذاهل قد عني وربي الذي لا يبخل ولا يذهل هو
حسبي فلما سمع عبد الملك مقالته علم فضله في دينه وقال
انا عبد الملك فاعتمد لي وارفع حوايجك الي فقال وانا ايضا عبد الملك
فهلم نرفع حوايجنا الى من انا وانت له عبدان فانطلق عبد الملك

نعمل

انعمل رايه فاتح فلما سمع الوليد بن يزيد ما اخبره به ذلك الكهل استرجح
عقله واستظرف ادبه وما له عن نفسه فسمى له فلم يجد الوليد
يستحيي منه وقال ان من جهل مثلك من رعيته لمضيع فقال له الكهل
يا امير المومنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليهم ولزم ابوابهم فقال
الوليد كلا والله لا توسعنا عذراً الا انك تخفيه ثم امر له بصلة معجلة
وعهد اليه في ملازمة بابه ابداً فكان يسمع من ادبه وحكمه الى ان
كان من امره ما هو مشهور **روضة ثالثة ورياضة نافعة قيل**
عزم امير المومنين محمد الامين على اخراج عهد الخلافة من اخيه عبد الله
المامون والمامون اذ ذاك مقيم بخراسان كتب اليه الامين كتاباً
يذكر فيه لحاجته الى القائه ومفاوضته في مهم حدث له وذكر
له ان يستنيب بخراسان من يضبطها ويعجل الشخوص الى بغداد وكتب
الى المامون عيونه الذين ببغداد ان الامين يريد خلعه من عهد الخلافة
ونقل عهده الى موسى بن محمد الامين فلما وقف المامون على ما كتب
به اخوه وعيونه شاور وزراه فاشاروا عليه بالتثبت والتعلل
والاعتذار بشغب خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة
فيها وانه لا يجد من يثق بكفايته فيها فكتب المامون الى الامين يذكر
يعارد الامين مكاتبته يستحثه وانه لو قدم عليه لقلّ لبثه ببغداد
حتى يرجع وانما يريده لكي يشاوره في خطب جسيم لا يودع مثله
الكتب فحين وصل الكتاب الى المامون اطلع عليه وزراه
واستشارهم فاشاروا عليه مثل مشورتهم الاول فكتب اليه بنحو ما
كتب اليه اولاً وكتب الى الامين عيونه بخراسان الى المامون

ثم فطن لما يريد منه وانه ممتنع وان وزراه اجمعوا الى امره بالامتناع
فبعث الامين من قام مقامه لاخذه وامر بالقبض على من كان ببغداد
من حشم المامون وحرمه وبطانته وما ظهر عليه من امواله وبلغ ذلك
المامون فامره الجزع وشاور وزراه فقد نسوا اليهم وحضوه
على التثبت وانتظار الفرج ففعل فلما راى الامين اصرار اخيه المامون
على الامتناع دعا الناس الى البيعة لابنه موسى وهو طفل فاجابوه
الى ذلك وبايعوا له وسماه الناطق بالحق واستكمل ابيه علي بن عيسى
ثم همان تجهيزه الى خراسان وكان علي بن عيسى قد ولي خراسان
قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بها الرجال واعتقد المنن في
الاعناق وكان شانه عظيما فاستشاره الامين في امر خراسان
مهيا ليضمن له امرها واخبره انه ان بلغ خراسان لم يختلف
عليه اثنان فسيرها تجهيزه الامين اليها وولاه كل بلد تغلب عليه
واعطاه اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه
من السلاح والكراع ما شاء وبلغ ذلك المامون فاضطرب امره
وعلم عجزه عن مقاومة علي بن عيسى فركب الى منتزه له ليناظر
وزراه في امر معارضة شيخ هرم من الفرس فناداه بالفارسية
مستغيثا به من مظلمة نالته فلما نظر المامون الى هرمه رق له
وامر ان يحمل على دابة يتبع به الى الموضع الذي قصده وبرحل
عليه بغير استيذان ولما استقر المامون ووزراه بذلك
الموضع الذي قصد له ادخل عليه الفارسي فامره بالجلوس في حاشيه
المجلس ثم اقبل على اصحابه فاخبرهم بما صنعه اخوه الامين

من

بن السفح على حاشيته وماله وتجهيزه علي بن عيسى وهو نظر ان الشيخ
لا يحسن اللسان العربي وانما هو من الحرم تشاغل عن الاصغا الى ما هم فيه
مع ما حمله على ذلك من القلق والاضطراب فلما راى القوم ان المامون لم
يحتفظ من الشيخ تفاوضوا فيما نصوا له وطالت مناظرتهم الى ان
قال احدهم الراي اصطناع قوم من اغنام الدين لا يعرفون علي بن عيسى فيلقى
بهم وقال غيره الراي ان نبادر الارسال الى الامين ونطلب منه الصفح
وبذل الطاعة والانقياد لامره فانه يرى ذلك حظا وقال غيره بل
الراي ان نلجا الى حصن فنعتصم به وننتظر الفرج وقال غيره الراي ان
نجمع اهل النجدة فنزيح عليهم ثم نقصد بهم بعض هذه الممالك المجاورة
لنا من ممالك الكفار فنقصد بهم القتال فلعل الله ان يظفرنا فنصير
الى حمل عسكر نقوى به ونزيح الناس هو على مثل رايبا فنمتنع ونجاهد
في سبيل الله حتى يقضي الله امره وقال غيره الراي عندي ايها الامير
ان نلجا الى ملك الترك نستجير به ومستعينا على الخليل الغادر
القاطع فهذا امر لم يزل الملوك تفعله اذا دهمها ما لا طاقة لها به فلما
سمع المامون هذه المقالة ركن اليها وعزل على هذا الراي ثم فكر
فقال كيف اجعل للترك على المومنين سبيلا وقال لاصحابه قوموا عني
فقاموا باجمعهم وانصرفوا فراى الشيخ الفارسي فقربه واستدناه
به وساله عن امره وما قصد له على لسان ترجمان اقامه له فقال
الشيخ بلسان عربي اني جئت لحاجة فعرضت لي دونها ما هو اهم منها
واولى بالعناية فقال له المامون فاما حبست سالتك سبيل الادب
فقال له الشيخ ايها الامير اني دخلت عليك وانا غير متصف بالحجبه

اكرثم الفى الله في قلبي من المحبة للامير ما ملأه وكان يقال الرق ثلثة انواع
فاولها واشدها استيعابا للظاهر والباطن رق الاختراع وهو الرق
لله صانع الاشيا ومخترعها والثاني رق الاصطناع وهو رق المنعم عليه
للمنعم والثالث رق الاتباع وهو صنفان احدهما رق الحب وهو اقربها
الى رق الاختراع لان له سلطانا مبسوطا على الظاهر والباطن والثاني
رق الرغبة لراغبها ورق العبيد لساداتها وانا اخبر الامير اعزه الله
انه قد نطا فر له علي ثلث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع
ورق الاتباع فان راى الامير ايده الله ان يوصل وسيلتي ويصدق
املي ويسعف طلبتي فيلحقني بدار اختصاصه لعل ذلك من هو متطول لا
به غير محتاج اليه وان عدمه لا ارجو ان يصادف الصنيعة منه شاكرا
وللاختصاص منه مستحقا ناصحا فقال له المامون صدقت ايها الشيخ
فقال محوجي فاطرق المامون مفكرا فيما تكلم به فقال الشيخ لا يصدن
الامير عني حقارة قدري ولا ركاكة ديني فانه كان يقال لا تحقرن
من الاتباع احدا فانك تنتفع به كائنا من كان وهو احد رجلين
اما شريف فتتجمل به واما وضيع فيحمي عرضك ويصون مروتك
وعلى اني لست اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاقي
ولا حقارة اعراقي فاما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعراقي
فاني برهمي من ولد البرهميين سيد ملوك القرن المتوسط بينها
وبين الاوايل وانما اعني حقارة ديني وكوني في عقد ذمة وصغار
وجزية فقال المامون ما منعك ايها الشيخ عنك من رغبة وان انتقلت
من دينك الى ملتنا التحقناك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من

نفسي

نفسي الى ما دعاني اليه الامير لشديد ولكني لا ارعاه في مقابلة هواي او اعلى
افعله فيما بعد ثم قال ايأذن لي الامير ان اتكلم فيما فاوض به الان
وزراه فقال المامون قل فقال الشيخ قد سمعت ما اشاروا به وزراء
الامير وكل منهم مجتهد في الاصابة ولست ارضا بشي مما ذهبوا اليه
فقال له المامون اطلعنا على رايك فقال الشيخ اني احد في الحكم التي ورثها
اباي عن ابايهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا طاقة له به ان يلزم
قلبه التسليم لحكم الحكيم فانه الحظ له ولا يضيع مع ذلك نصيبه
من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على
العذر فقال المامون ايها الشيخ انه كان يقال لا راي لمكذوب وقد
سمحت انفسنا لك بالنقد من غير امتحان وما ذاك الا لاختيارنا
اصابة الحزم ولكن احببنا ان لك ندا تقابل مرة حسبنا بالموافقة
على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا علي بن عيسى بن ماهان
وهو املك بالبلد سائر لا تمكننا منعه ومنه لو اردنا ذلك لتعذر
الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان تمحو حكم هذا الامر
من قلبك بالجملة وان لا تصغي الى من يتطوع به وكان يقال ما انزل
من كثرة البغي ولا اقوى من قوة الظالم ولا املك من ملكة الغضب
وها انا احدثك عن من حاولت حرفة ثلث منالة فقال له المامون
هات فقال الشيخ زعموا ان الخشنوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز
بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا ان لا يغزوه
ولا يقصده بعسكر ووضع في اقصى تخوم ارض الهياطلة صخرة واخذ
على فيروز عهدا ان لا يتجاوز تلك الصخرة ولما استوثق الخشنوار

من فيروز بما اخذ عليه من عهود المسالمة اطلقه فحين رجع
فيروز الى دار ملكه داخلته الحمية ولانفة فعزم على غزو
الخشنواز واطلع وزراه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة
البغي فما ردعه ذلك عما يهم به واذكروه العهود التي اخذها عليه
الخشنواز فقال لهم اني انما حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة
وانا امر بحملها على فيل فتكون بين يدي جنودي لا يتجاوزها
احد منهم فلما راوا ان الهوى قد وقف على حد الرضى بهذا القول
علموا انقياد عقله لشهوته فامسكوا عنه واعتقدوا الا براجعوه في ذلك
وكان يقال الهوى ضد يعلن العقل فلا يطلع به صورة الحقايق
وكان يقال ما لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر واذا ابلغ
اللجاج فهو السكر وقوة سلطانه وكان يقال لا يرشد تابع الهوى
في حال استيلا الشهوة والغضب لانها حال احتجاب عقله وذلك
ان الهوى اصل بالنفس لتقدم سلطانه عليها فاما سلطان العقل
فطاري مستفاد وللعقل حجابان وهما الشهوة والغضب ولا يزال
العقل ناظرا الى الهوى قاهرا له ما لم يحجبه غضب او شهوة فحينئذ
ينبسط سلطان الهوى وينفذ حكمه قال فجمع فيروز مرازبته
وطلب العدة ليتبع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل وكان كل واحد منهم
ضابطا لربع من ارباع مملكته وامرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة
ففعلوا وسار فيروز نحو الخشنواز في جيوش يظن ان لا غالب لها وكان
الخشنواز يضعف عن صفا ومة مرزبان من مرازبة فيروز
واما كان موبذان ومعنى هذا اللقب حافظ حفظ الدين وهم عند

الفرس

الفرس كالنبي قال لفيروز حين راى عزمه على غزو الخشنواز لا تفعل
ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم يأخذوا في هدم
اركان الشريعة فاذا اخذوا في هدم اركان الشريعة لم يمهلهم وان
العهود والمواثيق ركن من اركان الشريعة فلا تتعرض لها بسوء ولم يلتفت
فيروز الى مقالة موبذان وركب راسه في معصية نصحائه وكان
يقال يستدل على ادبار الملك حين [illegible] امور احدها ان يستكفي
الملوك الاحداث ومن لا خبرة عنده بالعواقب والثاني ان يقصد
هل مودته بالاذى والثالث ان ينقص خراجه عن قدر مؤونة
ملكه والرابع ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للراي والخامس
استهانته بنصائح العقلا واراء ذوي الحكمة والحنكة وكان
يقال انما يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخييل الفكري
وضعفه فمن قوي تخييل فكره فهو في سلطان الراي غالبا وعلى
حكم هذا القانون فمن عدم الفكرة في الامور الحق بالبهائم ثم
قال الشيخ القارسي ثم ان فيروز سار قاصدا نحو الخشنواز
حتى انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخشنواز علما لتخوم ارضه واستحلف
فيروز ان لا يطاها فامر فيروز بقلعها وحملها على فيل وان يكون
الفيل الذي يحملها بين يدي عسكره ونهى ان يتجاوز ذلك الفيل
احد من العسكر فما بعد عن ذلك الموضع الذي كانت الصخرة
فيه حتى جاءه رجل من ثقاة قومه واصحابه واخبره ان اسوارا من
اساورته عليم القدر قتل رجلا مسكينا ظلما وعدوانا وجاء اخو
ذلك المسكين المقتول مستغيثا بفيروز متظلما من الاسوار

تاتل اخيه فامر له فيروز بمال ليرضيه بعد دم اخيه فابى قبول المال
وقال لا يرضيني الا دم قاتل اخي فامر فيروز بطرده فانطلق من فوره
الى ذلك الاسوار الذي قتل اخيه وبيده خنجر فلما راه الاسوار حرك
فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز فتعجب من ذلك ونزل
ورد من ورد فيروز عن دابته وتقدم الى فيروز فسجد له وساله
فيروز عن امره فذكر له انه يريد الخلوة به الى مهم عرض له فامر
فيروز فضرب له فسطاطا فنزل فيه واذن له بالدخول فدخل
عليه وامر بذكر ما عنده فقال ايها الملك السعيد ملكت الاقاليم
السبعة وعمرتها بحسن رايك في سائر عزمه وقوته ولقد ظهرت
عناية اول الاوائل لك ما ضربه لك مثلا في مثل هذا الاسوار اذ كان
اسوار احد العرب من بيت مسكين في يده خنجر وما ذاك الا
لبغيه وتعديه فقال فيروز له لم يقم عنه العجز عنه ولكن لخوفه
منا فقال الوزير ايها الملك ارايت ان دعوته الى مبارزة ذلك المسكين
الثائر باخيه فاجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه
واتى ذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته فاظهر الرعدة فيها
والحرص عليها تخوفا من الهلاك فلم يجب فقيل له اما ترى فرسك
ودرعك وسلاحك اما سمعت بفروسيتك ونجدتك واقدامك تداركك
مهلك نفسك وتنسيت ولا اثم علينا فيك فقال لهم المسكين
واباه وانه على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة وهو لابس
درع الشك وانا لابس درع اليقين وهو مقاتل بسيف الباطل وانا
مقاتل بسيف الحق فقال الوزير ايها الملك ان كلام هذا المسكين ابلغ في

في المثل

في المثل والموعظة من ظفر هذا الاسوار بصبر اسوارك واستبق
نفسه ولا تعرضه للهلاك وتلقى هذا المسكين بالاحسان اليه فان
لم يرضه الا القصاص فاقض له بالعدل المالوف منك واستدم عناية
الاول الاحد بعنايتك بالحق الذي يرضيه العمارة ويسخط اجتنابه
فقال فيروز لهذا ان اخلي سبيلهما وانظر ما يكون منهما ان كان المسكين
يختار ذاك ويرغب فيه فلما دعوتهما مبارزة الاسوار على المسكين فاصر
على ذلك وحرص عليه تخوفا من الهلاك فلم يرد تخوفهم الاجراة
واقداما ثم قالوا للاسوار القه ولا تحيد عنه فحمل كل واحد
منهما على صاحبه فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة فرس الاسوار
وضربه الاسوار ضربة بطاطا لها المسكين واصاب ذباب
السيف البيضة فاثر فيها اثر السيف بالكتب ثم ثار اليه المسكين
فضربه بالخنجر في عنقه وجرحه ثم عدى ضربة وهو يتلقى ضربة
اخرى فادخل حلقات الدرع في جوفه ونصى عليه فبات
فيروز تلك الليلة في موضعه ذلك يتفكر فيما ناله ثم انه استقاد
لهواه فنفذ لوجهه وكان يقال الهوى طاغية من ملكه اهلكه
وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها وكالسيل
اذا اتصل مددها تعذر صدها وكان يقال ليس الحر من
اوثقه عداه اسرا انما الاسير من اوثقه هواه تسرا وارهقه
خسرا ثم قال الشيخ وما علم الحسوار قصد فيروز لحربه
حمل نفسه على التثبت ووكل الامر الى الاول الاحد وساله ان
يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها ولا

خاف نفعه بك بها واجاء مع ذلك بحظه من الحرم
اليه جنده وانشأ اليها ... فسد الثغور وجمع
وتوسط مملكته وعاث في بلاده وساعد على رعيته امره ... وكثير من بلاده
اليه جاه وصدقه الجلاد فانكشف ... منهم ... فنهض
نقتل الحسنوا برجاله وغنم امواله وامعن في طلب ... واسلم ما كان في يديه
له لفئته واسلم اهل بيته وحماة اصحابه وكانت العاقبة له قبل فلما ... حتى ظفر
عرف المامون ما صنعه له الفارسي مثلا اقبل عليه وقال له قد سمعنا
مقالتك وصادفت منا قبولا وشكرا عليها وسرورا لها فما ترى
فيما دعوناك اليه من توحيد الذي اجزل من العقل حظك وقطع
محمد صلى الله عليه وسلم عذرك فقال الفارسي اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر المامون باسلامه
سرورا شديدا واجزل صلته وقرب منزلته والحقه
بخاصة اصحابه وامره بملازمة بابه فما انفك ملازما ... قلا بل
حتى لحق بالله تعالى وكان المامون يعظم رايه فاتح الله عمله وبلغه
من الخلافة ما امله



السلوانة الثانية سلوانة التأسي

قال الله عز وجل من السورة المذكورة وهي الاحزاب ايات معجزات
طبقت المفصل المقصود بهذا ... وهو تأسي الملوك في طوام العوام
والله تعالى المحمود على الهداية اليها والدلالة عليها وذلك قوله تعالى
في المنافقين على خليقته في ارضه الى منذوبه وقرضه صلى الله عليه
وسلم اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وقال هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا

زلزالا

زلزالا شديدا وقال في ... من ضعفت بصيرته ... ويظنون
بالله الظنونا وقال في نجوم النفاق وجرأة اهله على الجهار ما كانوا يسرونه
حين ازوال المؤمنون وابتلوا وزلزلوا واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال في القاعدين
عن نصرة الحق المخذلين عن ارادة نصره قد يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا وقال فيهم واذ
قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقال في
المتسللين لواذا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا
عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وقال في ... اسواق الذين
الذين يتبعون كل ناعق ويجيبون كل داع ولو دخلت عليهم من
اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها الاية وقال في تحيير القدر
عن مغالبة القدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل الاية والتي بعدها وهي قوله سبحانه قل من ذا الذي يعصمكم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة الاية فجعل سجل طوام العوام
والامتحان بها ثم ان الله تعالى ذكر من امتحن بها على ما ادب به رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان
يرجو الله ومما ادب به رسول الله التأسي قال تعالى ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا الاية
ثم عرف رسوله صلى الله عليه وسلم بان اضاعته التأسي وتركه العمل
به لا يعلي اليه حظا فقال وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم باية والعلة

ان التاسي مفترض عليه بقوله تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من
الرسل وقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا الامر
حزم قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ربي ادبني فاحسن
تاديبي ولنا التاسي بما ادب الله به رسوله بل بما افترضه عليه كما
بينا ومعنى التاسي عند بعضهم ان تنظر الى ساعيرك اي حزنه وانه في
مثل الحال فتصبر ولا يعجبني هذا وهو عندي ماخوذ من قولهم اسوت
الجرح والجرح اي داويت والاسي هو الطبيب المداوي فكان معنى التاسي
هو التطبب والتداوي بالصبر والاسم من هذا التاسي تفعل من
الاسو ولو كان علما ذهبوا اليه لكان معنى التاسي التحزن بقول
اسيت اي حزنت وتاسيت اي تحزنت خبر نبوي ما رويناه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو
اعلى منكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال محمد رضي الله عنه
ان هذا الحسن المرقع مما عرفته ولا ينبغي ان تقتصر بلفظه عن
طرق افهامه وموجب شموله انه امر لمن كان في نعمة دقيقة ان ينظر
الى من كان في بلاء اشد من بلائه فانه دونه واسفل منه في حظ المعافاة
المطلوبة وهذا المخفف عنه حظه اوفر واعلى فذو النعمة منعم
عليه ومحسن اليه بما يفوق ما انعم به على غيره وبمعافاته من
الابتلاء بتلك الزيادة التي ابتلي بها غيره وانما كان هذا الخبر
بليغا في باب التاسي لانه ينقل مستعظم البلاء الذي نزل به الى ان
يستصغره باضافته الى ما ابتلي به غيره ويحمله على شكر ما فضل
به من حظ العافية التي فضل بها على غيره وهذه درجة اعلى من

درجة

درجة التاسي المطلق لان التاسي المطلق لا يفيد حظا على شكر ولا
يصور النقمة الحقيقية في صورة النعمة الحقيقية وانما يتم الصابر حيلة
وهذا الضرب يتم المعنيين جميعا [illegible]
التاسي خفة البلاء وشدة البلاء التاسي درج الاصطبار كما ان
الجزع درك النار انه ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم في صورة العواري
المرتجعة والودايع المسترجعة حتى لم يفعل ذلك اعظم فقدها اذ هي
المنعم اذا استردها كما ينبغي له ان لا يذهب عن حظوظ جنسه
منها ودولتهم فيها فاذا رأى ذلك عند زيارة البهم لم يستكثر [illegible] اصابهم
ونقائصهم حظوظهم والتاسي يصبرهم عند حادثة لها دونهم فليصبر
لدولتهم الحالقة كما صبر والدولة السالفة [illegible] المتصرفين
واقران المنقرضين وصاقد المصطفين وما يلتحق بذلك من ضروب
المواساة في المال والقوة وفي الجاه انما نذب اليه المواسون فيه ليستدفعوا
النعم باعطاء الجنس حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها
معان والله المستعان انشدني بعض الملوك لنفسه في حال
شدة نزلت به ۞ [illegible] قد علقت بطنا وحلما ۞ ولنا المجد [illegible] الاعز ۞
۞ ولنا النفس عوارف بالدهر ۞ [illegible] ۞
وحضرت عنده في يوم من ايام شدته فانشدني لنفسه
۞ قربني دهري [illegible] فلم يلقني ۞ الطمع في نائبة تقريبه ۞
۞ ثم تباعدني فلم يلقني ۞ اجزع من اصناف تغاريبه ۞
۞ والحمد لله على حكمه ۞ فقوتي منه وحولي به ۞
۞ وقال يوما وقد حادثته فيما يبعثه على التاسي وانشدني في ذلك

شعراً فانشدني للخنساء هذه الابيات

الا يا صخر لا انساك حتى … افارق عيشتي وازور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي … على اخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل اخي ولكن … اعزّي النفس عنه بالتأسي

فقال هذا الخلق من طلسان ابن حرب اسمع وانشدني لنفسه

نفيض كما يفيض السيل جوداً … ونقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبر الرزايا … تأسّينا باملاك كرام

قيل روضة رائقة ورياضة فائقة

لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكراً مختفياً
خفاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في امر يمكن ان يستنيب
فيه فعصاهم وكان يقال يتقى لباس ... الاحداث من الملوك
وعشاق القينات من الشيوخ وكان يقال انما عسر صرف الاحداث
عن غي الهوى الى رشد الراي لامرين احدهما فوق سلطان الشهوة
عليهم والثاني ان التجارب لم ترض قواهم على مخالفة هواهم
وذي الحنكة بخلاف ذلك **ثم ان سابور** توجه الى بلاد الروم
فاستصحب وزيراً كان له ولابيه من قبله وكان شيخاً ذا دهاء
وحزم وسداد راي وتبحر في العلوم وخبرة بالمكايد
فسلم اليه سابور جميع ما يظن ان به اليه حاجة او يدعو اليه
داعية وامره ان يتجاوزه في قرب منه ومراعاة في جميع احواله
في نهاره وليله وتوجها نحو الشام فتزيا ذلك الشيخ بزي
الرهبان وتكلم بلسان الجاثليقة وتعرف بصناعة الطب الجراحي

وكان

وكان معه شيء من الدهن الشيخي الذي اذا دهن منه الجراحات برأت
واندملت في الحال وكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم وبعد
ما دخلها يداوي الجرحى ويده تتفيت اليها شيئاً يسيراً من ذلك
الدهن فيبرأ جراحهم في الحال واذا عي بالجرحى من ذوي الاقدار داواه
بذلك الدهن صرفاً فيبرأ مكانه ولا يأخذ على المداواة اجراً فانتشر
له في بلاد الروم صيت بالعلم والزهد وكان يقال من غرس العلم
اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العز ومن غرس الاحسان
اجتنى المحبة ومن غرس الفكر اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار
اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر
اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس
الحسد اجتنى الكمد وكان يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها
وبلدانها متفقة على اربع العلم والزهد والاحسان والامانة
قيل فانطلق سابور ووزيره متفردين الا ان الوزير كان
يراعي احوال سابور اشد المراعاة فلم يزالا حتى طافا جميع الشام
وتجاوزا الدروب وقصدا القسطنطينية فقدماها
فذهب الوزير الى البطريك فاستاذن عليه فاذن له وساله
عما يريد فاخبره انه هاجر اليه من ارض الجاثليقة ليتشرف
بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها
مع البطريك واكرمه وقربه والحقه ببطانته فوجده اديباً
لبيباً فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل اخلاق البطريك
ليصحبه بما يوافقه ويتقرب به عنده فانه كان يقال اذا اردت

ان تصحب بحسًا فانظر كا تستعمله وتنفق عنده من الالات فان
كنت مطيقا للعمل بما في طلب الباله عليك وحظوتك عنده
فاقدم عليه والا فمرن نفسك على ذلك حتى تعلم انها قد طاقته
واحكمته فتقدم على بصيرة ولما تناهى بسابور اخلاق ذلك
البطريك وجعل مائلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار فاخذ
الوزير في اتحافه في ذلك بكل نادرة عجيبة وملحة غريبة فلم
يزل الوزير في صحبته حتى خالط نفسه وقلبه وصار الصق به من
شعار قميصه وجعل مع ذلك يعالج الجرحى ولا ياخذ من ذلك
عوضًا فعظم قدره في الناس وعشقته القلوب وكان يقال اذا كانت
القلوب مجبولة على مقة المحسن وكانت المحبة رقًا والاحرار يكرهون
الاسترقاق فالحر على الحقيقة من فدى نفسه من رق المحسنين بمكافا تهم
على احسانهم بقدر جهده حتى اذا لم يستطع فلير نفسه لهم عذرًا
قيل فجعل الوزير يتعهد احوال سابور في كل وقت الى
ان صنع قيصر وليمة وحشد الناس اليها وتهدد من تخلف عنها
فاراد سابور حضورها ليطلع على هيئة قيصر وهمته في قصره
وحاشيته فنهاه وزيره عن التغرير بنفسه فعصاه وتنكر بزي
يطول به ستره فدخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وقد كان
قيصر لما بلغه ما ابداه سابور من لطف الفطنة وعظم الهمة
وشدة الباس في حال صباه حذره حذرًا شديدًا وبعث بحضرته
مصورًا ماهرًا فحكى صورة سابور في مجلسه وحال ركوبه وغير
ذلك من ضروب الاحوال التي شاهده المصور عليها وقدم بتلك

الصورة

الصورة على قيصر فامر قيصر بان تصور تلك الصورة على فرشه وستوره
وفي الات اكله وشربه فصنع ذلك على ما امر به ورسمه
ولما دخل سابور دار قيصر فاستقر في مجلسه مع من حضر وكان المجلس
ادوا الشراب في كؤوس من البلور والذهب والفضة والزجاج
المحكم وكان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم ذو فراسة
صادقة فلما وقعت عينه على سابور انكره وجعل يتامل فرأى
عليه خايل الرياسة فطفق يستنشقه ولا يصرف بصره عنه فالقى
ذلك المتفرس الرومي بكاس فيه صورة سابور فتاملها فانطبعت
في نفسه مثالا لذلك الشخص الذي تكرر وغلب عليه ظنه انه
سابور فامسك القدح في يده ثم قال ان صاحب هذه الصورة
التي في هذا القدح يخبرني خبرًا عجيبًا فقيل له ما الذي يخبرك
فقال يخبرني ان الذي هو على مثاله لمعنا في مجلسنا هذا ونظر
الى سابور وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ما ظنه واعاد القول
فبلغ ذلك الكلام قيصر فادناه وساله فاخبره ان سابور معه في
مجلسه واشار الى سابور فامر قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر
فساله عن نفسه فحاد به ضروب من العلل فقال ذلك المتفرس
لا تقبلوا قوله فانه سابور لا محالة فامر قيصر بقتله ليهدده
بذلك فاعترف لهم بانه سابور وكان يقال قلوب الحكماء تستشف
الاسرار من لمحات الابصار وطالما دلت عليه اوائل المبصرات
على اواخر المنتظرات **وقيل** كما ان الابصار مرايا تنطبع فيها
المشاهدات اذا سلمت من ضد الافات فكذلك القلوب تنطبع

فيها الغايبات اذا اسلمت مرضيك المرئوات قيل من الادله على
مكاشفة الله القلوب ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشي
الذي يكرهه او يحبه ثم يكون ذلك الشي الذي يتوقع على نحو ما
توقع منه فقد يرى الانسان الانسان فيحبه لغير سبب احسان
فرط منه اليه او يبغضه لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه
الاحسان او الاساءة ٥ قيل فلما اعترف سابور بالصدق ذلك
المتفرس حبسه قيصر مكرما وامر ان يعمل له قبة من جلود البقر
وطوبقت عليه سبع طبقات واتخذ لها بابا من اعلا يدخل ويخرج
منه وجعل فيها كوة من اسفلها في موضع المبال وامر ان تجمع يداه الى عنقه
بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول الطعام
وغيره وادخل في جوف تلك الصورة وهذا بعد ان حشد قيصر
جنوده واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة التي
فيها سابور مائة رجل من ذوي الباس والقوة يحملونها دولا بينهم
وجعل كل خمسة منهم رئيس يضبط امرهم وصرف امر جميعهم
الى المطران وهو خليفة البطريك وكانت تلك الصورة تحمل بين
يدي المطران فاذا نزل العسكر انزلت تلك الصورة في متوسط العسكر
وضرب عليها فسطاط ليسترها وطاف بها خمسون من الموكلين
لها وكان اساهم معهم وضربت حولها عشر قباب مستديرة بها وكان
في كل قبة خمسة ورئيسهم وضربت للمطران قبة بجنب قبة
سابور وضربت خارج القباب كلها قبة يصنع فيها طعام
الموكلين بقبة سابور وسار قيصر محتفلا في جنوده وقد عزم

على

على اخراب بلاد فارس وتعقبه معالم ملكهم لعلمه الا دافع
يدفعه عنهم وكان يقال الحزم التزام مواخاة العدو ما دامت
له دولته زمن اقباله كما ان العجز اضاعة الفرصة فيه اذا ادبرت
دولته وركدت ريح اقباله وقالت الحكما العقلا لا يكون في ملك
اجتمعت فيه خصلتان الانهماك في اللذات واضاعة الفرص
وكان يقال ليس بين الملوك عن السوقة انما يكون بفضيلة الذات
لا بفضيلة الالات وفضيلة ذات الملك بخمس خصال رحمة
تشمل رعيته ويقظة تحوطهم وصولة تذب عنهم ولبانة
تكيد بها الاعدا وحزامة ينتهز بها الفرص فهذه فضيلة الذات
واما اتخاذ الادوات فاتخاذ المباني الوثيقة العلية والملابس
الانيقة والذخاير النفيسة والمطاعم الشهية والمراكب البهية
فهذه فضيلة الالات على ما هو دونها من اجناسها فيكون
للقصر فضيلة على غيره من القصور وللثوب فضيلة على غيره
من الثياب وللذخيرة فضيلة على غيرها من الذخاير وللطعام
فضل على غيره من الاطعمة وللدابة فضل على غيرها من الدواب
فالفضيلة لهذه الاشيا لا لمالكها قيل فلما سار قيصر بجنوده ومعه
سابور على الهيئة التي ذكرناها قال وزير سابور للبطريك انما
استفدت بخدمتك والقرب منك والرغبة في صالح الاعمال وانه
لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود وجر نفع الى مضطر
وقد علمت كفايتي في معانات الجرحا وان نفسي تنازعني
الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعل الله ان يستنقذ بي

نفسا صالحة يترحم على من اجلها ويقدس قلبي من يخرقها ويحفظني
لها فكره البطريك ذلك وقال له قد علمت انه لا استطيع فراقك
فكيف تطالبني بالسفر البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما
اكره وتسومني على ما يشق علي احتماله كما الواطن انك تؤثر
شيئا من الدنيا على القرب مني والتحبب الي فقد انزلتني عن
حسن ظني بك ولم يزل فلم يزل الوزير يتضرع الى البطريك
ويستمليه حتى سمح له بذلك فاذن له في وروده وكتب معه كتابا
الى المطران يخبره انه قد بعث اليه بسويد اقليمه وسواد نصره
فليحلله من نفسه اعلى المراتب ويستضيء برايه فيما اشكل عليه فقدم وزير
سابورا على المطران فعرف له حقه وانزله معه في قبته وجعل الوزير
يتفوق على المطران بالعجيبة ويستمليه بما يميل اليه ويطرفه كل ليلة
باخبار غريبة رافعا بها صوته ليسمع سابور احاديثه فيتسلى
بذلك وجعل يدس في احاديثه ما يجب ان يعلمه سابور من الاخبار
ويفطنه بشيء من الاسرار وكان يجد لذلك اعظم راحة قال
وكان الوزير قد اعد لتخليص سابور انواعا من المكايد زينها
واستسهلها عند ما قدم على المطران وكان يقال من ظن من الملوك
ان لفطنته فضيلة على فطنة وزيره فقد غلط وان اضاف
الى هذا مخالفة الوزير لم يفلح فانما كانت فطن الوزراء تفضل فطن
الملوك لان الملوك يتفقهون ابدا في سياسة من دونهم من العبيد
والوزراء يتفقهون في سياسة الملوك وسياسة الرعاة وهم اشبه
شيء بالجوارح التي تصيد وتفترس وتصيدها ايضا جوارح اشد
منها

منها فهي اعز الجوارح مكايدة للاحتراس ومكابدة للاكتساب وكان
يقال احسن الوزراء امرا اعده لكل امر يجوز وقوعه ويمكن كونه
حتى اذا وقع الامر قابله بما كان اعده له واسوأ الوزراء امرا من وكل
على لطف فطنته وقوة حيلته ودربة ممارسته فترك الاعداد
للامور قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو في ذلك بمنزلة من ترك
تزوير القول واعداده توكلا على فصاحة لسانه وقوة بديهته
وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه العي والحصر في بعض مقاماته
وبمنزلة من ترك السلاح توكلا على قوة يديه وشجاعة قلبه فيوشك
ان يظفر به عدوه في بعض المواطن قيل وكان من المكايد التي اعدها
وزير سابور انه امتنع من مواكلة المطران وزعم انه لا يريد ان يخلط
بالطعام الذي زوده البطريك طعاما غيره لما يرجو من بركة الاغتذاء
به وكان اذا احضر طعام المطران اخرج هو من ذلك الزاد فانفرد
بالاكل منه ولم يزل يبصر سابور جنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر
فيها السبي والقتل وتغوير المياه وقطع الاشجار واخراب القرى
والحصون وهو مع ذلك يواصل السير مبادرا الاستيلاء على دار
ملك سابور وتباعد منها الوزراء والمرازبة ورؤساء الفرس قبل
ان يملكوا عليهم احدا ولم يكن للفرس هم الا الفرار بين يديه والاعتصام
منه بالمعاقل فلم يزل يتبصر على ذلك حتى بلغ مدينة سابور ودار
ملكه وهي المسماة جندي سابور فاحاط بها جنوده ونصب عليها
المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط
الاسوار والقتال عليها وكل هذا قد علمه سابور على التفصيل مما

يفهمه اباه ووزيره ويدسه في احاديثه من الاشارات والرموز والكنايات
وكان سابور لم يسمع منه بكلمة منذ سجنه قيصر في تلك الصورة
فلما عرف سابور ان قيصر ثقلت وطاته على اهل جندي سابور وقد
ثلم الاسوار بالمجانيق واشرف على افتتاح المدينة عيل صبره وساء
ظنه بوزيره وجزع ويئس من الحيوة مما هو فيه فلما جاءه الموكل
بطعامه قال له سابور ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا لا ادفعه
عن احتماله فان كنتم تريدون بقا نفسي فنفسوا عني منها واجعلوا
بينها وبين عنقي وبدني خرقا من الحرير فجا الموكل بطعامه الى المطران
فاخبره بما قاله سابور واسمعها الوزير فعلم ان سابور قد جزع وساء
ظنه به فلما جن الليل وجلس لسامره المطران قال له لقد ذكرت
ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا سنة ووددت
اني كنت حدثته البطريك قبل سفري هذا قال المطران اني ارغب
اليك ان تحدثني به الليلة ايها الحكيم الراهب فقال الوزير نعم
وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور فقال انه كان
عندنا بالخليفة فتا وفتاتان في نهاية الحسن والظرف اسم الفتى عين
اهله واسم الفتاة سيدة النار وكانا زوجين موتلفين متحابين
لا يبتغي احدهما بالاخر بدلا وان عين اهله جلس يوما مع اصحابه
يتحدثون فتذاكروا النسا الى ان وصف احدهم امراة بالجمال البارع
والظرف الرايع اسمها سيدة الذهب فوقع في قلب عين اهله
ميل اليها فسال الواصف لها عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قرية
عين اهله فتفكر عين اهله في امرها وخامر حبها وطمحت نفسه

اليها طموحا شديدا وكان مثال العقل كالبعل والنفس كالزوجة له
والجسم كالبيت لهما فاذا كان سلطان العقل على النفس منبسطا
اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المراة التي يقهرها بعلها بمصالح
نفسها وبيتها وولدها وبعلها فتسلم الجملة واذا كان السلطان للنفس
على العقل كان سعي النفس كدا وتزعها شهوتها كفعل المراة
التي قهرت بعلها قال فانطلق عين اهله الى القرية التي فيها سيدة الذهب
وطلب منزلها حتى عرفه ولم يزل يتردد اليه حتى راها فراى
منظرا حسنا ولم يكن احسن من امراته ولكنه كان يقال من ضرورة
النفس ان تحن الى التنقل في الاحوال اذ كانت تنقلت بالتركيب الى
عالم الكون ثم تنتقل بالتفريق الى عالم الفساد وما زالت مغرمة بالنقلة
وتختم امرها بالنقلة فالفت الاحوال به توسط النقلة فنازعت
عين اهله نفسه في الاستكثار من رؤية سيدة الذهب فلزم
المعاودة الى منزلها والتمتع بتاملها حتى فطن له بعلها وكان فظا
غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى الذيب فرصد عين
اهله حتى مر به فلما راه الذيب وثب عليه فعقل فرسه ومزق
ثيابه وتعنفه وعنف عليه واستعان باصحابه فحملوا عين
اهله وادخلوه الى دار الذيب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها
ووكل عليه الذيب عجوزا قطعا اليد جدعا الانف عورا العين
شوها الخلقة فلما جن عليه الليل ووقدت تلك العجوز النار بالقرب
من عين اهله وجلست تصطلي فتذكر عين اهله ما كان فيه من
السلامة والرفاهية والعز فزفر زفرة عالية فاقبلت عليه

العجوز فقالت له ايها الشاب ما ذنبك الذي اوردك موارد الذلة فقال
عين اهله ما علمت ان لي ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس الخنزير
فلم يصدقه الخنزير حتى احنته غرامه فطير على ما خفي عنه وعلم
صدق ظن الخنزير فقال عين اهله اني احب ان تحدثني بذلك فانك
تحدثني الي فقالت العجوز زعموا ان فرسا كان لرجل من السحان
وكان يكرمه ويحسن القيام عليه ويبذل لهمانه ولا يصبر
عنه ساعة وكان يخرجه في بعض الغدوات الى مرج فنزل عنه وسرحه
ولجامه ويطيل رسنه ليمرغ ويرعى حتى ترتفع الشمس ويرده وانه
خرج به يوما الى المرج ونزل عنه فلما استقرت قدمه على الارض
نفر الفرس وجمح ومر بقيد رسنه وسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه
كله فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس ورجع الفارس
الى اهله وقد ايس من الفرس ولما تطاول انقطع الطلب عن الفرس
واظلم عليه الليل جاع فاراد ان يرعى فمنعه اللجام واراد ان يتمرغ
فمنعه السرج واراد ان يستقر على احد جنبيه فمنعه من ذلك الركاب
فبات باشر ليلة ولما اصبح ذهب يمشي فرحا بما هو فيه
فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى الضفة الاخرى فاذا هو بعيد
القعر فسبح فيه الى الضفة الاخرى وكان حزامه ولببه من جلد
لم يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر اصابت الشمس الحزام واللبب
فيبسا واشتدا عليه فورم لبانه ومحزمه واشتد الضر عليه
الى انه من الجوع فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فنام
فمر به خنزير فهم بقتله ثم عطف عليه لما راى به من الضعف

فساله

فساله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وساله
ان يصطنع عنده معروفا ويخلصه مما ابتلي به فساله الخنزير عن
الذنب الذي استحق به تلك العقوبة فزعم الفرس انه لا ذنب له فقال
الخنزير كلا بل انت كاذب في زعمك او جاهل لذنبك لجرمك فان
انت يا فرس كاذبا فانما ينبغي ان التمس عنك خلافا ولا اصطنع
عندك معروفا ولا ان اتخذك وليا ولا ان التمس عندك شكرا
او اطلب فيك اجرا فانه كان يقال اذا رايت نفس الكذاب قد تمكنت
بها عالم الفساد فكلها اليه فانه لا يرجى لها الفساد تركيبها والدليل على
فساد تركيب نفس الكذاب انها مضطربة معرضة عن الحقيقة في
الحوادث وتراعه الى العدم المحض فتصور العدم وجودا والباطل حقا
وتصور ذلك في نفس المغتر بها الراكن الى قولها وكان يقال احذر
مفاوضة ذوي الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك من طباعهم
وانت لا تشعر وقيل لا تطمع في استصلاح الرذل والحصول
على مصافاته فان طباعه اصدق له منك فلن تترك لك ثم قال
الخنزير وان كنت يا فرس جاهلا لجرمك الذي استوجبت به هذه
العقوبة فجهلك بذنبك اعظم منه ثم جهل ذنوبه اصر عليها
فلم يرج صلاحه وقد قيل احذر الجاهل فانه يجني على نفسه
ولست احب اليه منها وكان يقال ما شيء اشبه من الجهل بالكذب
وذلك لان الكذاب يتناسى الصورة والقضية المحسوستين ويتخيل
الكذب الذي هو ضدهما حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك
الصواب عمدا الى غيره والجاهل يرى الاشياء على خلاف ما هي

عليه فيرى القبيح حسنًا والحسن قبيحًا وانما الفرق بين الجاهل والكذاب
ان الكذاب الكاذب يأتي ما يعلم خطاه فيه والجاهل لا يعلم
ذلك فهو على نفسه وعلى غيره اشد جناية من الكذاب فقال الفرس
للخنزير ينبغي لك ان لا تزهد في اصطناع المعروف فقال اني لست
بزاهد في ذلك ولكنه كان يقال العاقل يتخير المعروف كما يتخير
البادر لحبوبه الذي يبذر ما زكا من الارض فحدثني يا فرس عن ابتدا
امرك لا علم من اين ذهبت فحدثه الفرس بجميع امره وكيف كان
عند فارسه وكيف فارقه وما لقي في طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير
فقال له الخنزير قد ظهر لي الان انك جاهل بجرمك وان لك ذنوبًا
ستة واحدها خذلانك فارسك الذي احسن اليك واعدك للمهمات
والثاني كفرك لاحسانه والثالث اضرارك به في طلبك
والرابع تعديك على ما البس لك وهو السرج واللجام والخامس
اساتك الى نفسك بتعاطيك التوحش الذي لست له اهلًا ولا
لك عليه مقدرة والسادس اضرارك على ذنبك وتماديك في غوايتك
فقد كنت متمكنًا من العود الى فارسك والاستقالة من فرط جهلك
قبل ان يوهنك اللجام بالجوع واللبب والحزم بالضبط فقال الفرس
للخنزير اما اذا عرفتني ذنوبي وايقظتني لما كنت غافلًا عنه
محجوبًا بحجاب الجهل فانطلق الان ودعني فاني مستحق لاضعاف
ما انا فيه فقال له الخنزير اما اذا اعترفت وفطنت لهذا
القدر ولمت نفسك ووبختها فانك حقيق بان ينفس عنك واز قيل
كنت على باب راده انه لن ينتفع بحكمة الامر غير نفسه ووقف

تها

تما عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا فليرجع حتى يكون
بهذه الصفة قال ثم انه قطع عنه عذاب اللجام وقطع الحزام فنفس
عن الفرس قال فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربته
له من الامثال اقبل عليها وقال لها لقد صدقت فيما نطقت ولقد ضربت
لي مثلًا كشفت لي عن حقيقة امري رايًا فدتني حكمًا لا كفاء لها
ثم حدثها حديثه ورغب في ان تمن عليه بالاصطناع وتطلقه
كما فعل الخنزير بالفرس فقالت له العجوز انك غير مصيره لك
باكثر الامور وان الذي سالتني لا يمكنني فعله الان ولعلي ان
اجد لك فرجًا ومخرجًا مما انت فيه فعليك بالصبر وامسكت العجوز
عن مخاطبته قال فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه الغاية اقبل
على المطران وقال اني احس في راسي صداعًا وفي اعضائي فتورًا
ولا يمكنني تمام الحديث ولعلي ان اكون في الليلة القابلة نشيطًا
الى ذلك فتدبر اعليه فاكمل سرك باكماله ونهض الى مضجعه
فجعل سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل الامثال التي ضربها
ففهم ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك فارس وكنى عن
مملكته واقليم بابل بسيدة النار لان رعيته يعبدون النار
وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذيب وكنى
عن طموح سابور الى روية مملكة الروم بطموح عين اهله الى
روية سيدة الذهب وقصد بما ضرب له من الامثال الحكمية تاديبه
على شره وتحذيره بنفسه ومخالفته نصحاوه وكنى عن نفسه
رجاله وعجزه وذله في خدمة المطران وطلبه مرضاته وتملقه

بالعجوز المقطعة الجدعا العورا المشوهه الخلق وعرفته انه لا يمكنه
تخليصه في ذلك الوقت وانه ساع في خلاصه فسكنت نفسه ابرا
لما فهم ذلك وعادت ثقته بوزيره واستروح ريح الفرج ولبث
بذلك الى الليله القابله فلما تعشى لطران واخذ مقعد المنادم
مال للوزير ايها الراهب الحكيم اخبرني ما كان من امر عين اهله وهل
خلصته العجوز من وثاق الذيب ام لا فان نفسي الى ذلك منطلعة
واراك الليله صالح الحال فقال الوزير سمعًا لقولك وطاعةً
لامرك ثم اقبل عليه يحدثه قال ان عين اهله اقام على حالته
موثوقًا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذيب فتوعده بالقتل
وزاده الى وثاقه قيدًا ثقيلًا وخرج عنه فتقطع عين اهله من
ذلك بالاماني فلما جن الليل قلق واستوحش فبكى وانتحب وجات
العجوز فاضرمت النار قريبًا منه وجلست تصطلي ثم اقبلت
على عين اهله فقالت له اصبر واذكر مصايب الناس فتاس
بهم ولا تذهل عن النعمة العظما في حفظ نفسك فقال لها عين اهله
لقد صدق القايل هان على الطليق ما لاقا الاسير فقالت يا بني ان
حداثة سنك قصرت بك من ادراك كثير من الحقايق
فاسمع حديثًا لك فيه سلوة قال نعم فانعمي علي به فقالت
العجوز زعموا ان تاجرًا كان له ابن ليس له ولد غيره وكان
شديد المحبة له والتعطف به فاتحفه بعض معارفه بغزال
صغير فعلق قلب الغلام به وكان لا يفارقه وجعل عين
اهله الغلام على ذلك الغزال حليًا وارتبطوا له شاةً

ترضعه

ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشب ان يجر قرناه فقال الغلام لاهله
ما هذا في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه سوادهما وبريقهما فقيل
للغلام انهما سيكبران ويطولان حتى يكون منهما كبيت وكيت
فقال الغلام لابيه احب ان اري ظبيًا له قرنان كبيران فامر
ابوه فصيد له ظبي ثني السن قد استكمل قوته فاعجب به
الغلام وكرهه اهله وحلق واشوم فانس والف الغزال لان
لي في الارض شكلًا ثم لما رايتك وقع في نفسي انك انك لا
سواك فقال الظبي نعم انا اشكالك كثيرة فقال له الغزال
اين هي فاخبره الظبي بتوحشها وانفرادها في فلوات الارض
فرارًا من الناس وحذرًا من مراتعها ومواردها واز واجها
وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبي وتمنا ان يراها
فيكون معها فقال له الظبي هذه امنية لا خير لك فيها
وانت قد نشات في رفاهية من العيش وامنة لا تعرف غيرها
ولو حصلت فيما تمنيت لندمت وانه كان يقال ثلاثة من لم
ينزلها منزلتها ويرع لها حقها اسرعت مفارقته والتحول عن قربه
وهي الملك والعلم والنعم وكان يقال الاماني في الشدة رباح وفي
الرخا جماح ولا ينبغي للعاقل ان ياذن لنفسه الا في المقدار
الذي يونس الوحشة وينفس الكربة فان استنبلا الاماني
كنا مل السفلا الذين يعدون الرؤس اعجاز والاعجاز رؤسًا
ويسعون في قلب الاعيان ونغير صورة الصواب فقال
الغزال للظبي لا بد لي من اللحاق باشكالي فلما راى الظبي ان

الظبي الى حاسة الطبيعة فقال الغزال للظبي ما ظننت تبلغ الى ذلك

الغزال غير ممتنة وخاف عليه ان ينقطع به فيمل بلوغه ما يبغي لانه
غر لا يعرف التجربة من كابد الانس لم يجد بدا من اتباعه والتوثق
معه ليقضي حق حرمة الفة اياه فرصد حينا مكانه فيه القرار
وخرجا معا حتى لحقا بالصحرا فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب
بعد ما لا يثبته شي فسقط في اخدود ضيق قد قطعه السيل فنشب
فيه وانتظر ان ياتيه الظبي ليخلصه فلم ياته فبقي هنالك واما ولد
التاجر فانه لما اصبح عدم الغزال والظبي فخرج لفقدهما واشتد وجده عليه
فاستعد كل من يعاني الصيد بذلك البلد وعرفهم القصة وكلفهم
طلب الظبي والغزال ووعد من يعاني الصيد لمن وجدهما وعدا
مرغوبا فيه فانبثوا في سهل الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر
دابته وفرق اتباعه على ابواب المدينة ينتظرون من ياتي من
الصيادين وانطلق هو وعبدان من عبيده حتى اتوا الصحرا فراى
على بعد رجلا منكبا على شي بين يديه فاسرع نحوه فاذا هو صياد قد
اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه فتاملة التاجر فاذا هو ذلك الظبي الذي
يطلبه ليخلصه منه فامر عبداه ففكتا وثوقه وحلا عنه الحبل الذي
كان على الظبي فساله التاجر كيف ظفر بالظبي واين وجده فقال
اني اتيت في الصحرا التصيد فنصبت شركا وكمنت قريبا منه فلما
اصبح جاء هذا الظبي فقصد الشرك فاخذته وقصدت به المدينة
فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي اني مخطي في ادخال الظبي المدينة
حيا لعلمي انه اذا راى طولبت بما كان عليه من الزينة فرايت ان
اذبحه وادخله لحما هذا خبري فقال له التاجر لقد جنى عليك

شحك

شحك الخيبة والحرمان فما ذا عليك لو اطلقته تذهب وحصلت انت
على زينته وحليته وكان يقال لا يدخل الشره مدخلا الا اعقبته
الحرمة ولا يدخل البخل مدخلا الا اعقبته الحسرة الا ترى ان من
جملة البخل الشره على اكل اللقمة التي عاقبتها فيها نفسه كان
متعرضا للحرمة لنهوع ماكله والحسرة عليه عند مفارقته ثم ان
التاجر بعث بالظبي الى ولده مع احد عبيده وقال لذلك الصياد ارجع معي فارني
الجهة التي رايت الغزال يعدو نحوها فرجع به الى تلك الجهة وجعل الصياد
يفتش ويشرف على المواضع المرتفعة ومشى التاجر على رسله فسمع نزيب
الغزال فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته عرفه فصوت واتبع
التاجر الصوت حتى قام عليه فاذا هو في اخدود منتشبا فيه فاخذه وا دى
الصياد فوهب له دراهم وصرفه ورجع التاجر بالغزال الى ولده فكملت
مسرة الولد وجعل الغزال يتجنب الظبي ولا يراه ولا يالفه كما كان
واذا حصل معه في موضع نفر عنه اشد النفار فتنغصت مسرة الغلام
لذلك وجهد اهله بكل حيلة بين الغزال والظبي على حال الالفة وسكون
فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال يوما نايم في بيت حتى دخل عليه
الظبي فعاتبه على نفاره منه وطول هجره له فقال الغزال انسيت
غدرك بي احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرك فقال
له الظبي اني لم اغدر ولم اخن ولكن عدم رسوخك في علم التجربة
اوقعك في تهمة البري واني لو انا تاخرت عن تخليصك مما حصلت فيه
لمصطر الى التاجر عندك عاجزا عن المبادرة الباب وقص عليه قصته
وانه حصل في شرك الصياد فعلم الغزال عذره وعادا الى الفهما

قال فلما سمع غيراهله حديث العجوز فهم ما ارادت به من ذكر عجزها عن
تخلصه امسك عن خطابها وصبر **قيل** فلما انتهى وزير سابور
من حديثه الى هذا الحد وسكت قال له المطران ايها الحكيم الراهب ما هذا
السكوت لعلك تريد ان تؤخر اخباري بما كان من عاقبة غير اهله وما
لقي من الذيب وما صنعت العجوز معه فقال الوزير اني العازم على ذلك
لفتور احده في اعضائي فقال له المطران لا تفعل ايها الحكيم الراهب
فان ذلك يسوؤني ويشق علي فاحمل نفسك ايها الحكيم فاني راغب
في تانيسك معجب باحاديثك فقال الوزير افعل ذلك طلبا لمرضاتك
ولو علمت ايها المطران ما ادخرت لك من عجايب الاخبار وغرايب
الاسمار لعجبت من ذلك اشد العجب ثم اندفع بحديثه فقال **وان غير
اهله** لما سمع حديث العجوز وفهم ما ارادته امسك عنها ولبث
ليلته تلك باسوا حال ولما اصبح دخل عليه الذيب وقيده وزاده
قيدًا الى قيده وعرفه انه لا ناصر له عليه ولا مخلص له من يديه وخرج
وخروج عنه فجعل يعلل نفسه بالاماني ويمنيها بالفرح فلما اقبل
عليه الليل استوحش واحتوشته الافكار وانتظر ان تجلس
اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر الدخول
الى البيت الذي فيه غير اهله ولا تستقر فيه فساء ظن غير
اهله وايقن بالهلكة ولم يشك في ان الذيب يقتله تلك
الليلة فاقبل على البكا والنحيب حتى ذهب قطع من الليل ثم قال
للعجوز مالك لم تونسيني في هذه الليلة بحديثك ولا جلست
الي فجلست اليه وقالت له ما كان لك في حديثي قطعا جدعا

عورا

سيده
عورا مشوهة الخلق ما احتملت على التاسي والتسلي وحمد الله وشكره
على سلامة نفسه ومعافاته من بلايه هو اعظم من بلايك حتى
تكون هادئا على الطلوع لا في الهلاك ولو اعتبرت بانواع حالي
عما لهم لكن لا تعلم ان اسري اشد من اسرك فاسمع لي احدثك
حديثي **اعلم ايها الفتى** اني كنت وجدته لبعض الفرسان وكان
الي محسنا وزوجني وبي محبا وكنت معه في ارغد عيشه واهناها
فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له اولادا ذكورا واناثا
فكبروا وانا في رفاهية من العيش ونعمة فغضب الملك على زوجي
لامر كان منه فقتله وقتل ذكور اولادي وباعني وبناتي مفترقات
فاشتراني هذا الفارس الذي عدا عليك واحتملني الى هذه القرية واساء
الي وكلفني من العمل ما لا اطيق واكثر ما قبحني من غير **ذنب**
لما طبع عليه من القساوة والفضاضة فسالته مرارا ان يرفق
بي واستعنت عليه باخوانه ومن يكرم عليه لكي يخفف عني
او يبيعني فلم يرده السوال والشفاعات الا قسوة علي واضرارا
بي فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت منه فتبعني وادركني
فجدع انفي وعاودت قسوته علي واضراره بي فمكثت بذلك
سبع سنين اخرى ثم فررت منه فظفر بي فقطع يدي وقال انما
نفي لك من اعضايك التي انتفع بها الا عينيك ويدك فان فررت
بعد هذا قطعت رجليك معا وافقاك لا ينتفع بك واقسم على
ذلك بغليظ الايمان وعاودت مضرتي منه وانا قد عزمت
على ان اخلصك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا للراحة مما

انا فيه ولهذا اربتني اكثر الدخول عليك والخروج عنك وانما
ذلك لحيرتي وجزعي من الموت وقد طابت نفسي على الموت
ثم انها فتحت قيود عين اهله فقال لها الان تركتك تقتلين
لقد شاركت في دمك وانزع السكين من يدها وقال لها قومي بادري
معي لكي ننجو معًا فقالت له ان كبر سني وضعف بدني يمنعاني
من اساعدك والهرب معك فقال لها ان الليل متسع والموضع الذي
نامن اذا وصلنا اليه قريب ولي قوة على حملك فقالت العجوز
اما اذا قد عزمت على هذا فاني لا احوجك على حملي فقاما وخرجا معًا
فلم ينقضي الليل حتى بلغا حيث امنا فخبرا عين اهله خبرًا
بما صنعت واتخذها امًّا يسمع لها ويطيع امرها هذا ما
بلغني من ذلك فقال المطران ما اعجب احاديثك ايها الحكيم الراهب
ولقد وددت ان لا افارقك ووددت ان سفري هذا يطول المطول
متعني بك ولقد استعذبت مفارقة الاهل والوطن لقربك ونهض
كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور ابتصف حديث وزيره
ويتأمل امثاله ففهم ان الغزال مثل لسابور وان الظبي مثل
للوزير وان خروج الظبي مع الغزال الصحرا وحصول الغزال في الاخدود
مثل لصحبة سابور ووزيره حصول في سجن قيصر وان نفار الغزال
عن الظبي مثل لسوء ظن سابور بوزيره لتاخره عن استنقاذه
وعرف ان الوزير قد عزم على تخليصه والخروج به الى المدينة ليلًا
وان المدينة قريب منهما وانه يحمله ان عجز عن المشي فايقن سابورًا
بقرب الفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابورًا

حتى

حتى دخل خيمة المطبخ التي يعمل فيها طعام المطران هو والموكلين
يحفظ سابور على حال الحلق فالقى في جميع الاطعمة منوما قوي
الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير بالاكل على ما جرت
به عادته فلم يكن الا ساعة حتى استحوذ المرقد على جميعهم
فالجدلوا في الحال في مواضعهم صرعى على مراصدهم ومضاجعهم
وبادر الوزير ففتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال
الجامعة من عنقه ويده وتلطف حتى اخرجه عن عسكر قيصر
وقصد به جندي سابور وهي مدينة مملكته فانتهيا معًا
الى سورها فصرخ بهم الموكلون بحراسة السور فتقدم الوزير
اليهم وامرهم بخفض اصواتهم وعرفهم نفسه وعلمهم بفكاك
سابور فابتدروا وادخلوهما المدينة فقويت نفوس اهلها
وامرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان
ياخذوا اهبتهم فاذا ضرب الروم نواقيسهم الضرب
الاول خرجوا من المدينة واقتربوا من عسكر الروم ووقفوا حتى
تضرب النواقيس الضرب الثاني فاذا كان ذلك حملوا باجمعهم
كل فرقة على من يليها فامتثلوا امره وانتخب سابور كتيبة
عظيمة فيها اسجع اساورته وقام معهم فيما يلي الجهة التي
فيها قيصر فلما ضربت النواقيس الضرب الثاني حملوا من كل جهة
وقصد سابور اخبية قيصر ولم يكن الروم متاهبين لعلمهم
بضعف الفرس عن مقاومتهم فما شعروا الا ذهنهم الفرس واخذ
سابور قيصر اسيرًا وغنم جميع عسكره واحتوى على جميع خزائنه

ولم ينج [...] من جنوده الا الشريد وعاد سابور الى قرار مملكته
فقسم الغنايم بين اهل بلده وعسكره وافاض الصلات على جميع من
في مدينته وتفقد احوالهم وفوض جميع امره الى وزيره الذي خلصه
ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال له لا تخف فاني مشفق
عليك كما اشفقت علي وغير مجازيك بتضييق محبسي ولكني
اخذك باصلاح جميع ما افسدت من مملكتي فتبني ما هدمته
وتغرس مكان ما قطعته من زيتونه وتطلق من في مملكتك من اسارى
الفرس فضمن له قيصر بذلك كله ووفى له به ولما انتهى في
الاصلاح الى بناء ما انثلم من سور مدينة جندي سابور قال
له انما تبنيه من تراب بلادك فامر قيصر رعيته من الروم بحمل
التراب من بلادهم الى جندي سابور فرفع به ما انثلم من سور ها
ولما تم لسابور ما اراد من ذلك كله احسن اليه واطلقه
الى دار مملكته بعد ان قال له خذ اهبتك واستعد عدتك
فاني غازيك عما قريب والحمد على السعادة قد بلغت بحمد
السلوانة الغاية التي نحملها هذا الكتاب والحمد لله على كل حال

السلوانة الثالثة في سلوانة الصبر قال الله تبارك وتعالى

مخاطبا صفيه المكين لديه ونبيه العزيز عليه واصبر وما
صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وذلك
لما نال المطلوب عليه وقصدوا بالمكروه المكره اليه كما اخبر الله سبحانه
بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
وكان رؤسا قريش قد اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في امر

النبي



النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ نجدي
فارادوا اخراجه عنهم فقال لهم اني من اهل نجد وقد انتهى ما جمعتم
له ولعلكم لا تعدمون من محضري خيرا فاجلسوه في مشاورتهم
فقال عتبة ارى ان تخرجوه من بين اظهركم فان ظفر كان ظفره
حظا لكم وان قتل كنتم قد كفيتم امره دمه فقال ابليس لعنه
الله ولا تامنوا ان يسعى حتى من احياء العرب فيستميلهم
ويسير بهم اليكم حتى يفرق جماعتكم وقال اخر منهم بل الراي
ان يوثق ويحبس حتى ياتيه اجله ويموت في حبسه فقال ابليس
لعنه الله هذا الشيخ برأي اما علمتم ان له اهلا وجيرانا واتباعا
لا يرضون منكم هذا فتقع الحرب بينكم ثم يكون الدائرة
عليكم وبعض امركم فقال ابو جهل لعنه الله ارى ان ناخذ
من كل قبيلة من قبائل قريش شابا جلدا ونعطي كل رجل
منهم سيفا صارما وياتونه في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد
فلا يقدر اهله ان يطلبوا بدمه جميع القبائل اذا افترق
دمه فيها فقال ابليس لعنه الله فاوحى الله سبحانه الى رسوله صلى الله
عليه وسلم لعرفه مكرهم ويامره بالهجرة الى طيبة وجا الذين تخيروهم
من القبائل للكفيل برسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله من اول
الليل فامر النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان يلبس بردة الاخضر
وينام على فراشه واعلمه انه لا يصل اليه من قريش مكروه فالتحف
علي برد النبي صلى الله عليه وسلم ونام على فراشه وخرج النبي صلى الله
عليه وسلم من بيته والقوم على الباب فقرا اوائل سورة يس واخذ

لها من [illegible] وجعل [illegible] لقوم [illegible]
[illegible] الفار [illegible] المشابه
[illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فيقولون
هذا [illegible] ولا يطلبون الدخول حتى [illegible]
[illegible]
[illegible] الخروج فخرج [illegible] سعد [illegible]
[illegible] مما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال [illegible] الحكمة [illegible]
[illegible]
[illegible] وليس المراد [illegible]
[illegible] ولكن المراد
بالصبر [illegible] اسباب [illegible] والحبس والامتناع
[illegible] الصبر [illegible]
[illegible]
[illegible] الامر [illegible]
[illegible]
[illegible] ان علي كرم
الله وجهه قال الصبر مطية لا تكبو [illegible] كالسيف [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] مسئلة
وكل علم من احوالهم [illegible] الادب [illegible]
من [illegible] اللبيب [illegible]
ان [illegible] الفرج [illegible]
[illegible] الى الفرج [illegible]
[illegible]
[illegible]
حسب [illegible]

لما [illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

[illegible]
الصبر [illegible] | [illegible]
من لزم الصبر على حالة | كان على [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | اذا [illegible] عن النوال
[illegible] | [illegible]

[illegible] هذا النوع من القول في الصبر على الجملة
وهو نوع او غاية انواع [illegible] هذا [illegible] الملوك

[illegible]

وصبر الملوك عندهم عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة العلم
وثمرتها العفو القوة الثانية قوة الكلاية والحفظ وثمرتها عمارة
المملكة القوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات واما ثمرتها
في حماة المملكة من المقابلة والاقدام في المعارك فلا يراد من الملك الاقدام
في المكافحة فان ذلك من الملك تهور وتغرير واما شجاعة الملك
ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا
ما دام بحضرته من يثق بذبه عنه ودفاعه دونه وحمايته
له ولقد ذكرت الفرس ان فيلا اغتلم اي هاج فدخل قصر كسرى
انوشروان والفيل اذا اغتلم وهاج انكر سواسه ولم يثبت له
شيء الا اتى عليه قالوا وان ذلك الفيل قصد مجلسا كان فيه كسرى
ومعه جماعة من كفاة اصحابه فلما راوا جماعته ان الفيل
قد قصدهم فروا من عنده وثبت كسرى على سريره وثبت معه
رجل من اساورته وكان منكبا عنده فقام ذلك الاسوار بين يدي
كسرى وبيده طبرزين وقصده الفيل فثبت له حتى غشيه
فضربه بالطبرزين على فنطسته فكر الفيل راجعا من حيث
جا وقد نالت منه الضربة منالا شديدا وكسرى في هذا
كله لم يتجاجل عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقته
هيبته فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك فاذا
لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه حسن حينئذ منه
ان يذب عن نفسه اما بالاقدام على العدو ان غلب في ظنه الامتناع
منهم او بانهزامه ان اتاه من لا قبل له به والتوقي من عطب

رعيته

رعيته بهلكته حكاية موسى الهادي كان يوما في بستان
ومعه اهل بيته وبطانته وهو راكب على حمار وليس معه
سلاح فدخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا من الخوارج جيء به
اسيرا وكان الهادي حريصا على الظفر به فامر بادخاله فادخل
بين رجلين قد امسكا بيديه فلما نظر الخارجي الى الهادي
جذب يديه من الرجلين واخترط سيف احدهما ووثب
نحو الهادي فلما راى ذلك من كان نحو الهادي فروا جميعا وبقي الهادي
وحده فثبت على حماره بمكانه حتى قرب الخارجي وكاد يعلوه
بالسيف قال الهادي اضرب عنقه يا غلام فالتفت الخارجي
حين سمع ذلك ووثب الهادي عن سرجه فاذا هو على ذلك
الخارجي وسقط الخارجي تحته فقبض الهادي على يده فانتزع
منه السيف فذبحه ثم عاد الى ظهر حماره وتراجع اليه خاصته
يتسللون وقد ملئوا رعبا وحياء فما خاطبهم في ذلك
بحرف واحد ولم يكن بعد ذلك يفارقه السيف ولا يركب
الا الخيل وقد حكا عليك هذا الخبر ما ابداه الله به موسى الهادي
من ثبات الجاش وشجاعة القلب وقوة البدن رحمه الله عليه
امين وايانا وغفر لنا ولوالدينا امين الصبر على نوب الايام
من اخلاق الكرام شعرا

اني اقول لنفسي وهي ضيقة ** وقد اناخ صروف الدهر بالعجب
صبرا على شدة الايام ان لها ** وقتا وما الصبر الا عند ذي الحسب

روضة رائقة ورياضة فائقة فيل وقصة لكسرى انوشروان

ارض من التخوم الهندية فذكرت له حسن المنظر وطيب الهوى
والما وكثرت العماير وحصانة المعاقل وذكر له اهل تلك الارض
بعظم الجسوم وبلادة الفهوم وشجاعة القلوب وقوة الابدان
فشرهت نفس كسرى الى تلك الارض وكان يقال الشره اعرق
الخصال في اللوم والحرص ابوه الذي يولده والبغي ابنه الذي يلده والطمع
شقيقه والذل رفيقه وكان يقال من شره وقع فيما كره
وكان يقال الشره مشره ينتجها طبع ويهيجها طمع قال فلما
طمحت نفس كسرى الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر
بانه عظيم من اكنة الهند وانه شاب منقاد لشهواته مقبل
على لذاته الا انه سالك صراطا من العدل لا يجور وما لك منهلا
من البذل لا يغور الى رافة برعيته قد اشربت قلوبهم وده
وصرفت قلوبهم الى ما عنده فندب له كسرى رجلا من دهاة
اصحابه قد اقتبس ادبا من اداب الملوك وتفقه من سياستهم
وكان ذا دهاء وحزم ومكر فامره بتامل مسالك تلك الارض
والبحث عن ثغورها ومعاقلها وتفقد اخلاق ملكها واهلها
وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه الى الدخول في طاعته
ويحذره التعرض لصولته بمخالفته فانطلق ذلك الجاسوس
حتى قدم على الاركن فاحسن نزله وبالغ في بره وتكرمته
وعما عليه الاخبار وبالغ في قبضه عن التصرف وفي قبض الناس
عن لقائه واحتجب عنه ولم يستدع الكتاب منه وندب
لاختباره وعلم ما قصد له رجلا من دهاة اصحابه وامره

بالتجسس

بالتجسس عن انبائه والتلطف في مداخلته ومخا[illegible] تلبثه
فانطلق ذلك الجاسوس فاكترى حانوتا بحذاء دار
الرسول وملاه تجارا وجلس يبيع التجار وكان للرسول غلام
يختلف في حوائجه وينصرف في مآربه فجعل الجاسوس اذا راى
ذلك الغلام هش له واكرمه وساله عما له من حاجة الى ان
انس به الغلام وكان يجلس اليه ويستعين به على امره فلبث
بذلك مدة طويلة لا يساله عن شي من امر سيده فلما انس
الغلام به قال له يوما من تكون ومن لك في هذه الدار التي
تدخلها فقال له الغلام صحبتني منذ كذا وكذا ولا تعرفني
فقال الجاسوس وما علمي فقال انا غلام رسول كسرى وسيدي
في هذه الدار فقال الجاسوس ومن كسرى فقال ملك بابل ارسل
سيدي الى ملك ارضكم فقال الجاسوس قد عرفت حين
ذكرت لي بابل لاني كنت في صباي اجيرا لرجل من اهل
بابل ثم امسك عن الغلام اياما لا يساله عن شي وكان يقال الحصو
التنقير تنفير والتنقيب يريب الاريب وقيل من
تسرع الى الامانة فلا لوم على من اتهمه بالاضاعة ومن
تسرع الى المشاركة في السر فلا لوم على من اتهمه بالاذاعة
ومن نصح قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه بالخداع ثم
ومن عني بكشف ما يستر عنه فلا لوم على من اتهمه بخبث الطباع
ثم ان الجاسوس قال للغلام يوما اذا خرج مولاك فارني
اياه فقال ان مولاي لا ينصرف عن موضعه فقال الجاسوس

امريض هو فقال الغلام لا ولكن ملككم حصر الخروج عليه ومنع
الناس الدخول اليه فبكا الجاسوس فقال الغلام ما الذي يبكيك
فقال الجاسوس ابكتني الرحمة لمولاك مما هو فيه لاني ابتليت
بمثله وذلك اني حبست مرة في دين كان علي ومنعت امراتي
الدخول علي فلولا ان الله من علي برجل كان محبوسا معي وكان
يؤنسني بحديثه وانسه لهلكت غما فهل لك ان تحدث مولاك
وتسليه فقال الغلام اني لا اعرف هذا ولا ادري خبر الطريق
اليه فقال الجاسوس له افلا ادلك على ذلك فقال الغلام بلى فاحسن
الي فقال الجاسوس اذا خرجت من عند مولاك نطف بالمدينة
فتامل ما تراه فيها فاذا رايت جماعة يتحدثون فاجلس اليهم
واسمع ما يفيضون فيه فاذا رجعت الى سيدك وخلوت
معه فقل له رايت اليوم كذا وكذا وسمعت كيت وكيت فان
هذا تسلية له وانس من وحشته ويوشك اذا فعلت ذلك
ان تحظى به عنده ففعل الغلام ما امره الجاسوس فقال له
سيده من دلك على فعل هذا فقال الغلام انا فطنت له ففعلته
فقال له سيده ليس هذا في قوة عقلك فاخبرني من دلك عليه
فقال الغلام دلني عليه جار لنا يبيع الفخار ما رايت اجهل
منه فقال له سيده وما دلك على جهله فقال الغلام انه صحبني
اكثر من شهر وهو لا يعرف من انا ولا يعرفك وذكرت له الملك
كسرى فاذا هو لا يعرفه فلما سمع الرسول ذلك استراب منه
وفطن انه متجسس عليه لما راى انه افرط في تجاهله

وكان

وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن احتفل في غلوه اسفل في علوه
وكان يقال ما دل على الاحوال كالافعال ولا هتك قناع المعقول
كسماع المقول وكان يقال من لم يعرفك غايبا غيبك اداه لم
يعرفك شاهد عيانه قال فلما سمع الرسول كلام غلامه امره
ان ياتيه به ففعل فلما راه الرسول حقق ما كان فطن له من كونه
جاسوسا عليه فاكرمه وقربه واظهر له الغباوة والجهل وساله
ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس يتفقد احوال الرسول في
ليله ونهاره مدة ولما ظن الجاسوس انه حصل على ما اراد علمه
من امر رسول كسرى ذهب الى الملك فاخبره ان ذلك الرسول
عيي لا ذكاء له ولا غناء عنده لاكثر من انه ذو نجدة وفروسية
ولنفس ابيه فوثق الملك بقوله وتحيل الرسول بالصورة التي
مثلها له الجاسوس عنه وكان يقال لا يكن سمعك لاول مخبر
ولا يقبل لاول محلس وكان يقال اذا كان الخبر يدخله الصدق
والكذب فالقضا له باحدهما جور وكان يقال ما يقضي
بصدق الخبر عصمة المخبر لا صدقه وكان يقال ان المخبر
الصادق اذا لم يكن معصوما فهو عرضة للتلبيس وفرصة
للتدليس وكون المخبر ثقة صدوقا انما يفيد سلامته من
التحريف فيما يقوله ولا يفيد عصمة ادراكه فيما ادركه فقد ينظر
الصادق المغفل الى الشمس فيخبر بانها غير سافرة وينظر الى القمر
ودونه مقطعات السحاب فيخبر بانه ادرك سرعة سيره
وينظر الى سفينة جارية الى البر فيزعم ان البر يجري ويسمع

البيغا المحجوبه عن بصره فنحى برايه البيان عن الاشيا خلاف ما هي
عليه فلم يدخل الخلل من جهة تحريفه لكن من جهة ادراكه قيل
فلما وقف الاركن لمقالة جاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه
وخاطبه بقول حسن واخذ منه الكتاب وخلع عليه واجزل
صلته ورده الى منزله مسرورا واباح له التصرف واذن لمن اراد
قصده في زيارته وتابع الحافه ولبث بذلك عاما ثم استحضره
وسلم اليه جواب كتابه واعطاه هدية الى كسرى نصالا منها
سيف طوله خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد
كما يعمل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت
الازرق تسع منا من الطعام وكاسا من الزمرد يسع رطلا
من الشراب والزبرجد فريك وقنديلا من المها فيه ياقوته
حمرا كبيضة الحمام اذا علق في بيت فيه مصباح ليلا الفى
شعاع الياقوته على الالوان القابلة للحمرة فلا يشك في
حمرتها احد واهدى له طيبا كثيرا ودروعا وغير ذلك
وخص الرسول بذخاير نفيسة وصرفه الى مرسله فلما قدم
الرسول على كسرى اخبره بطيب تلك الارض وفضايل خصايصها
وحصانة ثغورها وانه لم تجد لها عورة نوتى منها الا
غرارة اهلها فان عقولهم متنهتكة لقبول الخدع محجوبة عن
النظر في العواقب وان هذا موجب حسن طاعتهم لملكهم
فلو ندب اليهم رجال يحسنون نصب الدعوات الى الدول
لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم لملكهم فاذا انصرفت طاعتهم

لم تقم لملكهم بعد ذلك قايمة لانهم اعتادوا الذين يميلون
بهم فيهم في الرخا ثمار محبتنا وفي البلا سيوف منتضاة فنظر
كسرى فيما كتب اليه الاركن فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف
بفضله ورغب اليه في الموادعة والمواخاة فاستشار انوشروان
وزراه في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب بالمتة فاختلفوا
عليه واجمعوا امرهم على ان يرد هديته اليه ففعل ثم انه ندب
لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات وقلب
الدول وايدهم بالاموال وبين لهم مثالا يحذون عليه فنفذوا
لما امرهم به حتى انتهوا الى مملكة ذلك الاركن فتفرقوا فيها
فلما اتى عليهم عامان احكموا ما ارادوا من ذلك في دار مملكة
الاركن وفي غيرها من مدنه وحصونه ورساتيقه وكسروا
بذلك فلما تم لهم ما ارادوا كتبوا بذلك الى كسرى فامر اليهم
المرزبان المتولي ربع مملكته المقابلة لتلك الجهة الهندية
وذلك ان اقليم بابل كان مصروفا الى اربعة مرازبة لكل مرزبان
ربع منه مع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فلما
شرع ذلك المرزبان في حشد والاعداد دلت عيون الاركن
التي بتلك الجهة اليه يخبرونه بان المرزبان المجاور لجهة
بلاده قد اخذ في حشد الاجناد وتاهب للاستعداد فعلم
الاركن انه قاصده ونجم النفاق ببلاده وتحدث الناس بقصد
المرزبان اليه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من غفلته
وبحث عن الامر ووقف على حقيقته وكان زمام مملكته بيد وزرا

على خمسة رجال اربعة وزراه والخامس صاحب بيوت النار ورئيس
الزمازمة والذي ياخذوا عنه دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم ما
بلغه من فساد قلوب رعيته وحسد المرزبان بقصد بلاده واظهر
لهم الحاجة الى كفايتهم فجلسوا يتناظرون في ابتغاء صواب
الراي فقال احد الوزرا الاربعة الراي ان يصلح الملك رعيته فيملا ايديها
رغبات واما لاحتى يستقيم معوجها ويانسونا فرها فان عدونا اذا
علم بذلك جبن الاقدام وان قدم لقيناه بكلمة مجتمعة وايدي
متناصرة فقال رئيس الزمازمة انما يصلح هذا امر الرعية لو كان
فسادها انما اوجبه هفيم جورا وعسف سيرة فيزال عنها سبب
فسادها فصلح رعيت الملك لهذه الصفات وانما الذي اورد عليها
الفساد الاجهلها مواقع الصواب وبطرها لترادف النعم وقد
قيل اربعة لا اذا افسدهم البطر لم تزهم التكرمة الا فسادا
الولد والزوجة والخادم والرعية وضربوا لذلك امثال وهي
القوى الاربع المرذوله اذا هاجت بتعدي حدود المصلحة وهي
الغضب اذا تعدى حد الشجاعة وحد الانفة من الرذائل والشهوة
اذا تعدت حد الكفاية والكسل اذا تعدى راحة الجسم من اكتساب
الفضائل والحرص اذا تعدى حد الكفاية فان هذه القوى الاربع
اذا تعدت هذه الحدود لم تردها المدارات والرفق الا هيجانا
وطغيانا وانما نعانا بحسم موادها فقال الملك لله در الحكم
فقال الثاني من الوزرا الاربعة الراي عندي ان نضرب بمن صلح من
الرعية من فسد منها حتى تستقيم وتستوثق لنا ثم نلقى عدونا بمن لا

نخاف

نخاف دغله ولا نحذر غشيه لانا مضطرون الى الحرب لكون عدونا
لا يرضيه الا اخذ ما في ايدينا قال رئيس الزمازمة هذا انفع عدونا
من جيشه وادعى الى طاعته من دعاته مع انه لو علم تحربنا فيما
بيننا وتناصبنا ذهبت هيبتنا عن نفسه وبلغ فينا امله
وقد قالت الحكما اربعة من استقبلها بالتعنيف والردع في اربعة
احوال اهلكها الملك في حال غضبه والسيل في حال صدمته والفيل
في حال اغتلامه والعامة في حال هيجها ومرجها وقالوا ان الشبه
بمن يردع العامة في حال هيجها وتبرزها معاناة الجدري في حالة
ابتغائه الى سطح الجسد بالاطلية الرادعة فقال الملك صدق
الحكيم فقال الوزير الثالث الراي عندي ان نطلب ولا نعين
من فسد [illegible] طاعته من الرعية فنميزه ممن سواه ثم نرى رأينا
فيه بما يقتضيه حاله من قلة او كثرة او ضعف او نباهة او
ضعة وقوة فنقابله بما يوجبه حاله من التدبير قال رئيس الزمازمة
البحث الان عن هذا خطر عظيم وخطب جسيم لانه يوحش المريب
فيحركه الى اللحاق بعدونا واعتماده بالنصائح ودلالته على عوراتنا
واذا التحق بعدونا قاتل معه على بصيرة لبيت بعدونا فيدل على جهله
بالعود الى وطنه واهله وماله وعدونا بان لا يقابلنا بمثل ذلك
وربما لم ينفصل عنا المريب بل بقا ومنا بموضعه ويكاشفنا وينكب
علينا بمن كله من الرعية فيبصروه وان لم يكن على مثل رايه فيعلله
منا كلمته كما ان الكلبين لا يمنعهما تعادهما وتنمارشهما
من التعاون على الذئب اذا ابصراه ولا يلتفتان الى تحقيق

الذيب في الخلق الكلبي ولكنهما يتنافرانه ويصطلحان في التعاون
عليه نظرا الى خصوصيتي توحشه وانفته وجرائته فكذلك
العامي لا ينظر الى الملك من حيث تحققه في الخلق الانساني بل ينظر
اليه من حيث خصوصيتي تفرده والفته وعلو همته فينافره ويالف
العامي الذي يشاكله في الاخلاق بعلة المشاكلة وقد قالت الحكما رضي الله
عنهم ثلثة ان كان يستحقهم شفقتهم بالامتحان في ثلثة احوال
حسن خدمة مودتك في حال استقلالك وصدقك في حال اختلالك
واحترامك في حال انتهاكك والرعية كالزوجة وادبار الدولة كالانتهاك
وقال مثل ذلك فوى صعد النا فهين من الامراض بالاطعمة الغليظة
فقال الملك صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان الوزير الرابع اوسعهم
علما واحسنهم رايا اما انا فاحدث الملك حديثا اخبرني به
مودتي وكان احزما افادنيه وقال لي اخزن هذا الحديث في حبة
قلبك ولا تشتغل تتمنى ان تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه
اليه واني لاحسب انه هذا اليوم فقال له الملك قل نسمع
حديثك فقال رئيس الزمان رمه ما اولانا بالاصابة فقال الوزرا
الثلاثة انه كذلك فقال الوزير المذكور انما نحن كاصابع الواحد
في افتقار بعضنا الى البعض وفي [illegible] بعضنا ببعض وتزين
بعضنا ببعض ثم انا نستمد من نور عقل الملك السعيد ينظر
اليه واسماعنا منه كما تستمد الدراري من نور الشمس فكلنا
الى الملك محتاج وبه مقتد فقال الملك قل ايها الوزير الصالح
بالقبول والكرامة لك ولمن نبت عندي منا صحتنا والفنا

عنا

عنا والاد الينا كالحواس الخمس للقلب فمحمد واله اجمعين
فقال ذلك الوزير يزعم مودتي ان رجلا موسرا من التجار
وكان ياوي من داره الى بيت مبطن السقف وفيما بين ذلك
السقف وبطانته فيران كثيرة فكن يتماسين من الام ويلسن
الاطعمة من النهار كله على حال طمانينة فاذا جا الليل نزلن
من السقف فتفرقن في مخازن التاجر ومساكن عياله فاكلن
واحتملن فكثر اذاهن على التاجر وانه دخل يوما مسكنه
ذلك فاستلقى فيه مفكرا في بعض امره وجعلت الفيران
تمرح على باطن السقف والتراب يتساقط من خلل الالواح
فضجر التاجر ونهض من فوره فامر بنحو ما في البيت من
الالات بحضرة عبيده فوضعوا بطانة السقف وانتشر الفيران
في الدار فقتلن باسرهن ولم ينج منهم احد وفارة كانا
غائبين من السقف فلما رجعا وابصرا فساد وطنهما ومصارع
الفيران في جميع الدار راعهما ذلك واقبل الجرد على الفارة وقال
لها لقد صدق القايل حيث يقول من صحب الدنيا واتباعها
كان كالنايم في الظل الذي يكون قبل بلوغ الشمس الى نصف
[illegible] دائرة فلكها الاعلى فيتقلص الظل عنه فيصيبه
الشمس فيوطه حرها ولا تجد للظل عينا ولا اثرا فقالت
الفارة صدقت فماذا ترى قال الجرد اري ان لا اسكن موضعا
تقع فيه هذه النوازل وافر من الانس جهدي فان همهم
شديد وحيلهم اقسى من قوم غيرهم من العوالم

فقالت الفارة وانا معك فانطلقا حتى اتيا ارضًا فيها جرذ ذات
اخلاط من الوحوش يسكن واديا معشبا فيه غدران ماء ذات
ضفادع وسلاحف فاعجبهما ذلك وصارا يلتمسان موضعًا
يحتفران فيه وجارا فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي
قد انجاب السيل يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل تلك الربوة وجارا
رضياه واوطنا فيه وانهما علوا يوما على الربوة فرايا في اعلاها
يربوعا قد علت سنه وهو على باب وجار له فرحب بهما وحادثهما
وسالهما عن امرهما فاخبراه الى ان ذكرا له انهما اوطنا وجارا في اصل
تلك الربوة فقال لهما اليربوع لولا ان النصح كثيرا ما يدعو الى
التهمة لنصحت لكما فقالا ما احوجنا الى نصحك فقال لهما انه
كان يقال اربع لا تقدم عليهن حتى تسال عنهن السوق لا تقدم
عليه حتى تسال عن النافق والكاسد فيه والامراة لا
تقدم على خطبتها حتى تسال عن منصبها وحسبها والطريق لا
تسلكها حتى تسال عن امنها وخوفها والبلد لا توطنها حتى
تسال عن سيرة سلطانها واخلاق اهلها وقوم من يكيد اهلها
ويعاديهم وكان يقال انظر الى من نصح لك فان اتاك بما يبصر
غيرك ولا ينفعك فاعلم انه شرير وان اتاك بما ينفعك ويضر
غيرك فاعلم انه طامع وان اتاك بما ينفعك ولا يضر غيرك
فاصنع اليه واعتمد عليه وكان يقال ان لم تعن ناصحك على
نفسك كان ناصحك كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب معوجا
قبل ان يقوم العود في منصبه وكان يقال اذا اردت ان تعلم

ما يغلب على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره فانه
بذلك رايه عليه وكان يقال شر ما في عالم الاخلاق التعاطي
يريد المتخلق شرا او يعرضه موسم الحرب وهذا كالضعيف
يتعاطى القوة وكالجاهل يتعاطى العلم وكالفقير يتعاطى
الغنا وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة في امر فشاور ذوي
الحنكة والتجربة من طبقتك وذوي صناعتك ولا تعدل
عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك وذوي صناعتك
فيخرجك عن حدك لكونه خارجا من عالم خصايصك واعلم
ان قد جمعني واياكما سياسة صناعية وهي حفظ الجوار اني
ارشح منكما فانتقلا عن وجاركما فانه بيس الجار وبيس
الاوطان وانا ابن تجربة هذه الارض والخبير بها وقد قيل
تسل ارضا خابرها فتحولا عن ذلك الوجار واطلبا ماوى سواه
فخرجا من عند اليربوع يهزان به ويسخران منه وينسبانه
الى الهرم والخرف ورجعا الى وجارهما فلبثا مدة طويلة
وولدا فيه اولادا كثيرة ثم ان الجرذ خرج يوما من
الايام فاوغل في تلك الارض لبعض شانه ثم عاد قاصدا
الى الربوة فاذا السيل قد انجاب جرى في ذلك الوادي فاحدق
بالربوة وارتفع حتى صارت الربوة في مثل البحر العجاج فخرج
على صفة الوادي ينظر متحسرا الفساد وطنه وهلاك ماله
وذهاب ما اعده من طعمه فراى اليربوع قائما على الربوة
آمنا فناداه اليربوع ايها الجرذ كيف وجدت ثمرة اضاعة

الحزم ومعصية الخبير الناصح فقال الجرذ وجد تقامره فقال
اليربوع الجرذ هون عليك وخفض من حسرتك فان
النعمة في بقا نفسك فانس النعمة بالشكر تستمتع بها
فانه كان يقال اظهر البشر لثلاثة الصديق والغريم
والنعمة وكان يقال ان الحر لا يذهله اساءة من كان احسن
اليه عن شكر احسانه السالف عنده ودم على شكرك
اذا احسن اليك محسن ثم تنكر واصابك بمساءة فلا تنقبض
عنه ودم على شكرك له وبرك به فان ذلك اوجد بنفع
لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان اشقاني ايها الحكيم بمعصيتك
والبعد عنك ولو كنت ذا بصيرة لعلمت انك لم تكلف نفسك
هذه الربوة الكوود وهبوطها على كبر سنك وضعف بدنك صعود
الا لامر اقتضته الحكمة واوجبه الراي المصيب ثم ان
الجرذ جلس مكانه حتى ذهب السيل فصعد الربوة واتخذ
له بها دارا الى جانب دار اليربوع واوطنه اياما ما بينا لا يرى
فيه ما يسوق قرير العين مسرور القلب فهذا هذا ما اخبرني
به صودي فقال الملك صدقت ايها الوزير الصالح فلا زلت
ناصحًا واصبحت مرشدًا ونطقت مبلغًا ودعوت سميعًا
فالنفس لنا ان لم نروضها لا تستقر بنا تلزم انفسنا الصبر على جحودها
ونقصرها عن الرفق بلاذها وانبساطها في هذا العالم الخبيث
فلعلنا ان نجتني السلامة التي اجتناها اليربوع من سيل هذه
الفتن فقال الوزير ايها الملك السعيد المغذى بالنفوس الزكية

عشت

عشت ما بدا لك تعيش ونلت ما املت فانما حى نوالك ما
نبيانه الله من نعمك وتحلوه عليك من حلمك واني لاعرف ناحية
من ممالك معقلا لا تصل ايديه على اهل الارض اضلال رجال على
الكواكب تتقاصرت دونه الابصار اللامحة والافكار الطامحة
وهو مع ذلك ذو هواء عليل وماء سليل وحدائق باسقة
ومرابع حسنا سفد وقد بحضن سلف الملك السعيد عنى بها
لبعض العناية فتقطع عليه امله الحتم القاطع عن نفوذ الحبوة
فلما سمع الملك ما دله الوزير عليه ملئ سرورًا وركب من
فوره في خاصته حتى انتهى الى ذلك المعقل الذي دل عليه وزيره
فوجد في مراة عينه افضل مما صوره الوزير في نفسه ووجد به
رسومًا وبنيه واثارًا اثرها بعض من تقدم من ابائه فحشد اليه
اليه المهندسين والبنائين والنجارين وامرهم بالجد في كماله
وبادر من فوره فنقل اليه خواص بيوت امواله وخزائن سلاحه
ونفايس ذخائره وحشد عنيته لحمل الاهراء اليه فاودعها الاهراء
المقنوه وغير المقنوه وما ظن ان فيه كفاية وذلك ان الاهراء
الذي لم يعش كثير البقا واعد لنزوله عدته وهو مع ذلك
يتشيد الثغور وتجنيد الاجناد وتشييد الحصون فلما مضت
ثلاثة اشهر من يوم كتبوا اليه جواسيسه بحركت المرزبان
وحشده الا وقد اقتحم المرزبان ثغوره في الجيوش المتوافرة
والعدد الكاملة وظاهره دعاه كسرى بتلك الناحية من استقبلوه
من الرعية فغلبوا على من يليهم من البلاد واستعمل المرزبان

عليها من ثقاة اصحابه ورتب فيها جماعة من جنده ومن اهلها ثم دلّ بطوي الارض فوافقته جيوش الاركن فلما وقعت بعض الدفاع ثم انهزم من كان في قلبه دغل وانهزم الناصحون بانهزامهم واستولى المرزبان على عسكرهم واستبقى النفوس واخذ الاموال ثم تجاوزهم ليطوي المملكة طيًّا وكان الاركن عندما فتح المرزبان ثغوره قد بعث باهله وحشمه الى ذلك المعقل وجمع وجوه تابعي حضرته فوعظهم وذكّرهم ما سلف من احسانه اليهم وذكر ما بلغه عنهم من فساد الطاعة وما كره من امتحانهم ومعاقبة المسيئين منهم فتنصلوا امام رواته وحلفوا على استقامة طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال الملك اني لم اجمعكم لهذا ولست بناكل عن عدوي ولا مستبعد للظفر والنصر عليه ولا مستعين بهمة احدكم غير انه اخبرني بعض خواص وزرائي عن ملك من سلف انه شرع في بنا معقل وعني به فحال بينه من تمامه ما اراد من ذلك الانحلال المحتوم من عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه جدي **قول الحكيم** ان ابر الملوك من تمم به سعي سلفه واعظمهم من انقطع معهم عنده ثم اني احببت ان اجعل ذلك الحصن من عددي وذخايري **لقول الحكما** ان احزم الرعاة من اعد لجميع قضايا العقل احكامًا وقولهم يجب على الملك انه لا يخلو من خمسة معاقل يتحصن بها احدها درع صالح يتحصن بوابله والثاني سيف قاطع يتحصن بحده اذا غشي عليه والثالث فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات والرابع امراة حصينا يتحصن بها فرجه وحرمه

والخامس

والخامس قلعة منيعة يتحصن بها اذا احيط به فاتخذت هذا المعقل لتكمل به حضرتي وتنقل اليه ذخايري وما يكرم علي فمن اراد منكم ان يقتدي في فعلي بالحزم فليفعل ولما فرغ من مخاطبتهم اذن لهم فخرجوا من عنده فاقتدى منهم من كان على ذا عقل وخبرة فجهزوا الى ذلك الحصن اهليهم واموالهم واقواتهم واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطويها طي السجل لا يقاومه جيش الا هزمه حتى اشرف على حضرة الاركن فنزل فرسخ منها وتهيب الاقدام عليها وقد كان الاركن امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة وخرج الاركن في اربعة الف مقاتل من عبيده وخاصته فقام بهم في معزل من جيوشه ورعيته بظاهر المدينة وعبى قبوله ورتب صفوفه وكان في المدينة داعيان من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج الملك من المدينة فظهرا واتبعهما من كان على رايهم فوثبوا بالخليفة الذي في المدينة فقتلوه واستولوا على المدينة وضبطوها **فبينما الملك** قايم في جنوده بظاهر المدينة اذ اتاه لابس الرماد مه حافيا حاسرًا لاطم وجهه وينتف شعره فامر الملك بحمله اليه واستخبره فاخبره بذهاب دار ملكه وخيانة رعيته فانحاز الملك بخاصته ومن كان على يقين في طاعته وتوجه نحو الحصن وانتها خبره الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه فوقف بازايهم من كفى امرهم وسار حتى دخل حصنه بلا خطر واما المرزبان فانه قصد المدينة

فدخلها وضبطها واحكم امرها ثم سار في جنوده الى ذلك الحصن
فراى منظرا عجيبا ارتفاعا ومعقلا ممنوعا مانعا فلم يمكنه النزول
بالقرب منه فنكص الى حيث امن ونزل في جيوشه فتحفظا
وكتب الى الاركن الهندي كتابا يخاطبه فيه بالتعظيم والاجلال
ويعرض عليه خصالا منها ان يرده الى دار ملكه موفرا على ان
يدين بدين كسرى ويدخل تحت طاعته فلما انتهى رسول المرزبان
الى الملك الاركن حجبه ولم ياخذ كتابه وامره بالعود الى مرسله
فيئس المرزبان منه وكان يقال صرفك البصر عن عدوك اضاعه
واصغاؤك السمع الى حديثه طاعة وكان يقال اذا امكنت عدوك
من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهق سحره
وكان يقال عجبا لمن يصغي الى عدوه سمعا ولا يرجو عنده نفعا
وكان يقال اذا عجزت عن التخلص من كلام عدوك فانت عن التخلص
من كيده اعجز ثم ان المرزبان عاد الى المدينة وكتب الى كسرى بالفتح
وما تهيا له وعليه من الامور فكتب اليه كسرى يامره ان يقيم
بتلك المملكة ويترك التعرض للاركن في حصنه الا ان يبدو منه
فساد وان يذكي العيون عليه ويقيم المسالح في جهات حصنه
ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث كذلك مدة وجعل
اعلام الفرس واصحاب المرزبان يعبثون بتلك المملكة ويعاملون
اهلها بالمضاضة والفسوق التي طبع الهند على ضدها فوقعت
الشحنا في النفوس وداخلت اهل تلك المملكة الغيرة لما راوا ان
خراج ارضهم يحمل الى غيرها وينفق في غير اهلها وعرفوا فضل

ما كانوا

ما كانوا فيه ومشقة ما صاروا اليه فبسطوا ايديهم في البلاد وخاف
المرزبان ان يردعهم عن القول فيستوحشون تكف عنهم وكان يقال
ايدي الرعية تبعا لالسنتها فان قدرت على ان تقول قدرت على
ان تصول وكان يقال ترك تكبير الصغاير مدعاة الى الكباير فاول
نزو المراة كلمة سوء سومحت بها واول حزن الاسد جبرة سومح
عليها قال واما الاركن الهندي فانه لما استقر في حصنه شاور وزراه
فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذا وبسط العدل وتامين السبل
واجارة المستجير وتالف المتوحش والاخذ بالعفو فاتخذ
هذه الخصال شرعا يدين بها فازدادت حسنا والقلوب اليه ميلا
والالسن له شكرا واتفق ان عاملا للمرزبان على ثغر من تلك الثغور
اسا السيرة فقام اليه رجل وكان افضل اهل عمله فوعظه
ونصح له فكره العامل ذلك وكتب الى المرزبان يزعم ان رجلا
من اهل عمله يعارض في امره ويؤلب العامة عليه فاجاب عليه
المرزبان بامره بحمله اليه مقيدا فاخذ العامل ذلك الرجل فقيده
وبعث به اليه مع رجال من الجند فتبعهم احداث من فتيان
الثغر فقتلوا الموكلين بذلك الرجل واطلقوه فاتى الرجال الى العامل
واخبره بما فعل اولئك الاحداث وانه عجز عن دفعهم فامر به
العامل فقتل فضربت عنقه وكان ذا منزلة عند اهل البلد
فوثبوا على العامل فقتلوه وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا
ثغورهم وانطوى اليهم من كان على مثل رايهم وكاتبوا من
يليهم فاجابوهم الى مثل ذلك ما منعوا وطردوا عمالهم

وقوله صلى الله عليه وسلم

في اسرع مدة ولما انتهى ذلك الى المرزبان جمع جنده وحفظ حصونه
على حال ذعر وخوف شديد فكتب الى كسرى يستمده وكان اهل حضرته
عندما خرج عنهم رئيس الزمازمه ونوحه ملكهم الى حصنه
قد نصبوا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم فلما راى ما فيه المرزبان
من الذعر والتوقي وقصده من خاف بالمحنه والعقوبة دخل على
المرزبان فقال اني اريد ان اسالك عن امر ظننت علمه عندك فقال
المرزبان قل فقال بلغني ان مما اوصى به اردشير بن بابك ملك بابل
انه قال عنف السياسة تخرج الرعية الى ما تريد من المعصية وانه
قال في وصيته ينبغي لمن تغلب على ملك وغصبه ايه ان يحفظ
الصورة والشريطة التي تسلم عليها تلك المملكة فانها محفوظة
عليه ونائبة في عقد تسلم تلك المملكة وانها ستخرج من
يده بمثل ما صارت اليه ويقال ان هذه الوصية مكتوبة في مجلسه
بازاء سريره وموضع قضائه ففهم المرزبان ما اراده الا انه
اراد التوقف على اخر ما عنده فقال الامر على ما بلغك ايها الشيخ فقال
ذلك الخليفة اذا كان الامر كما بلغني فما لك لم تستعمل الحكمة التي علمت
وعنفت في سياسة الرعية عنفا اخرجها ولعله ان يخرجها
ولم تحذر خروج هذه المملكة من يدك بمثل ما صارت اليك فلما
سمع المرزبان كلام ذلك الخليفة انتهره وهدده وكان
شيخا ضعيف البدن كبير السن فسقط الى الارض مغشيا عليه
وحمل الى منزله فمات بعد ايام فعظمت لموته المصيبة
وساءت الحالة وسمحت الانفس بالشقاق بما كانت منقبضة

عنه

عنه وظهر فساد الرعية فاحضر المرزبان وجوه من بحضرته ووعظهم
وحذرهم بطشه ورغبهم في العافية فارضوه بالسنتهم ونسلوا عنه
وغلظ امر اهل الاطراف المنقبضة وشغل عنهم المرزبان بتحصين
البيضة فبعثوا رسلا الى الاركن الذي كان ملكهم يسالونه الصفح
عنهم وان يبعث اليهم رجلا يتحيزون اليه فاعطاهم امانا عاما
واستعمل عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستنصروا في طاعته
وتنحوا في الذب عنه واضطر المرزبان الى ان يبعث اليه جيشا
فبعث فعادوا منهزمين ولم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه
فحصن دار الملك وخلف عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها
الى عدوه فلما فصل عن المدينة وثب اهلها باصحابه فاستوعبوهم
قتلا وتشريدا وحرزوا ما بينهم وبلغ ذلك المرزبان فاستمر لوجهه
خارجا من تلك المملكة حتى قدم على كسرى طريدا مغلولا وعاد الاركن
الى دار مملكته تجري على سنن العدل والاخذ بالحزم وقمع شهواته
واستعمل الحكمة الى ان ادته التجارب اياها روضة رائقة
ورياضة فائقة سال امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال
لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت لو ان رجلا صدوقا اخبرني
عن نفسه وعن هؤلاء الذين حصروه فقام اليه شاب من اهل [illegible]
فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطأطأت فركبوك وتخادعت
لهم فسلبوك وما اجراهم على ظلمك الا افراط حلمك فقال صدقت
اجلس ثم قال هل لك علم بما ينشر الفتن فقال نعم يا امير المؤمنين
سالت عن هذا شيخا من تنوخ كان ذا فقه قد نقب في البلاد

وعلم علماً جماً فقال لي بتيرها امران احدهما اثرة تصعن الخاصة والثاني حلم يجري على العامة ومارعمر رضي الله عنه فهل سالته عما يخمدها قال نعم قال انه يخمدها في ابتدايها استقالة العشرة وتعميم الخاصة بالاثرة فاذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الارهم فقال عمر رضي الله عنه فهو ذاك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

تفسير الفاظ اشتملت عليها هذا الحديث ينحو الى ذكر الفرس قال محمد رضي الله عنه ان يزدجرد بن بهرام سال حكيما من الفلاسفة ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منها بغير عنف والتودد بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم قال فما صلاح صلاح الملك قال وزراوه اذا اصلحوا اصلح قال يزدجرد ايها الفيلسوف ان الناس قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يسكنها اذا ثارت فقال يثيرها جراة عامة ويولدها استخفاف الخاصة ويوكدها انبساط الالسن بضماير القلوب واشفاق موسر وامل متعسر وغفلة ملتذ ويقظة محروم فقال يزدجرد ايها الفيلسوف ما يسكنها فقال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما يخاف وايثار الجد حتى لا يلتذ الهزل والعمل بالحزم والادراع للصبر والرضا عن القضا وبالله التوفيق

السلوانة الرابعة

سلوانة الرضى قال الله تقدس اسمه علينا من خلا حلمه وتدبيره وسخط قسمه فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ثم نبههم على ما حرموه من فضل الرضى بقوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله

من فضله

من فضله انا الى الله راغبون ووصف صفوته من خلقته بالرضى فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه وسما بقلبك معنى رضي الله عنهم ورضاهم عنه ما روي ان موسى عليه السلام قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت به عني فاوحى الله تعالى اليه انك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا لله عز وجل متضرعا اليه فاوحى الله اليه يا ابن عمران ان رضاي في رضاك بقضايي **وبما روينا** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اسالك الرضى بعد القضا قيل انما قال بعد القضا لان الرضا قبل القضا انما هو عبارة عن العزم على الرضا وتوطين النفس على الرضا بالقضا اذا نزل وانما تحقيق الرضى بعد حصول القضا **خبر نبوي** في مثل ذلك بما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي رجلا من اصحابه وقد اجهده المرض والحاجة فانكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما الذي بلغ بك ما ارى فقال المرض والحاجة يا رسول الله قال افلا اعلمك كلاما ان انت قلته اذهب الله عنك ذلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما يسرني بحظي منها اني شهدت معك بدرا او الحديبية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل لاهل بدر والحديبية ما للقانع الراضي **منثور ومنظوم في حكم الرضى** روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى ابي موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله في الرضى فان استطعت ان ترضى والا فاصبر واعلم رحمك الله ان الرضا هو اطراح الاقتراح على العالم بالصلاح اذ كان العدل حقا

كان سخطه حمقًا ومن رضي حظه ومن ترك الاقتراح افلح واقتراح
كره الرضا عاملًا قبل ان تكون له معمولًا وصر اليه عادلًا والا
صرت اليه معذولا وقيل للحسن البصري رضي الله عنه
من ابن أتى الخلق قال من قلة الرضى عن الله قيل له ومن اين قلة
رضاهم عن الله قال من قلة المعرفة وممّا قلته في الرضا

يا مفرحي فيما اتى ⁂ وراحمي فيما مضى
عندي لما تقضيه ما ⁂ يرضيك من حسن الرضا
ومن العطيه استعيذ ⁂ متضرعا ومعرضا

وقلت في ذلك ايضا

كم من مدبر الحكيم ⁂ على وجل على وجل
وارض القضا فانه ⁂ حتم احله الاجل

وقلت في ذلك ايضا

يا من يرى حالي وان لبس لي ⁂ في غير ما ترضيه اوطار
حاشا لذاك الفضل والغفران ⁂ يهلك من انت له جار
وان تشا هلكي فيا مرحبا ⁂ بكل ما تقضي وتختار
كل عذاب منك مستعذب ⁂ ما لم يكن بعدك والنار

وقلت في ذلك ايضا

اذا انا لم ادع فضا لأكرهه ⁂ لشيء سوى سخطي له وتبري
تعوذني له من حسن معرفتي به ⁂ كما ان رضوا لي به من تكبري

روضة رائقة ورياضة فائقة قيل ان يزدجرد الاثيم
بن سابور ذي الاكتاف لما ولد له بهرام جور اخبره منجموه
بقوم مولده وسعادة جده ومصير الملك اليه بعد شدة ومحنة
وطول اغتراب وانه ينشا بين امة ذات هموم عليه وحلوم

زكية

زكية ونفوس ابية وبهم يصير الملك اليه فاجال يزدجرد
فكره في جنس يصلح لامه فرأى ان العرب اولى بهذه الخصائص
من بين الامم لتلك الاخلاق التي وصف له المنجمون ووقع
اختياره عليهم وكتب الى النعمان الاكبر بن امرئ القيس
بن عدي بن نصر اللخمي فاشخصه واشخص اليه جماعة
من رؤساء العرب وساداتها فوصلهم وبرهم واخبرهم
بما يريد من تمليك النعمان عليهم فانعموا بذلك وشرف النعمان
وملكه على العرب وسلم اليه ابنه بهرام وامره بكفالته
فاسترضع له النعمان اربع نسوة صحيحات الجسوم ذكيات
الفهوم طيبات الاعراق سويات الاخلاق امراتين من العرب
وامراتين من الفرس واجرى عليهن ما يصلح لهن وانتقل بهرام
الى بلده فبنى له النعمان الخورنق لما اتفق عليه من طيب هوائه
وفضيلة مائه فارضع المرضعات بهرام اربعة اعوام ثم
تفصله وقد صار غلاما حفر السرعة شبابه ولما استكمل بهرام
خمسة اعوام قال للنعمان انظر في تعليمي ما يحتاج الملوك الى علمه
فجرت بينهما محاورة اودعتها كتابي درر الغرر المضمن
انباء نجباء الابناء فكتب النعمان الى يزدجرد يسأله ان
ينفذ اليه رجالا من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي كتابهم
فارسل اليه يزدجرد بجماعة منهم ثم ان النعمان ضم الى
بهرام رجالا من علماء العرب وحكمائها ودهاتها وكان ذا سياسة
وخبرة بكثير من اللغات وحفظ الاخبار وسير الملوك

وكان اسمه جليسًا فافاد بهرام كل واحد من معلميه ما عنده
من العلم فلما استكمل من السنين اثنا عشر سنة فاق عليه
كلهم واعترفوا بفضيلته واستغنائه عنهم فصرفهم النعمان
مكرمين وكره بهرام مفارقة جليس لكونه يجد عنده من المحاسن
والاداب والسياسه والاخبار ما لم يجده مجتمعًا في غيره
واستدعى النعمان من يزدجرد من يعلم ولده الفياسه والفراسه وما
يحتاج اليه المحارب فبعث اليه يزدجرد بمن اراد منهم
فمكثوا عند النعمن ثلاث سنين فاستفاد بهرام جميع ما عندهم
من ذلك وصرفهم مكرمين وامسك جليسًا لشغفه به فلما
استوفى من السنين خمسة عشر سنة استاذن النعمن الملك
يزدجرد في القدوم عليه بولده بهرام فاذن له في ذلك فوفد
النعمن على يزدجرد بابنه واوفد معه روسا العرب وزعماوهم
فاحسن يزدجرد نزلهم واجزل صلتهم وضاعف برهم واسكن
ابنه بهرام عنده واحبس جليسًا لعلو نفس بهرام به وكان
يزدجرد فظًا غليظًا القلب عسوفًا شديد الكبر مجترئًا
على سفك الدما واغتصاب الاموال ولذلك سمي الاثيم فعامل
ابنه بهرام بالفسوق التي طبع عليها واتعبه وكده واستعمله
على سرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه وعيل صبره وضاق صدره
فشكى الى جليس فرق جليس لشكواه ثم اقبل عليه فقال له ما معناه
فرج الله كربك واعلى كعبك واطاب ذكرك في قلوب الامم
وافواهها واكب لعزك ملوك العرب والعجم تجباهها ان

اولى الناس

اولى الناس باخلاص النصيحه من كان معروفًا بها ومندوبًا لها
ومدعوا اليها ومخصوصًا بها فانه كان يقال النصائح مرة
المبادي حلو العواقب فهي كالادويه يسوء استعمالها ويسر
مالها ويذم عيبها ويمدح غبها وكان يقال ~~انما يسعد النصحا~~
~~بالملوك بحسن المداراة وافراط التذلل~~ وكان يقال الامين يصحب
الملوك بالدب على الخدمة والمبالغة في النصيحه والخاين يصحب
الملوك حسن المداراه وافراط التذلل وكان يقال انما يسعد
النصحا بالملوك اذا كان مؤيدًا بالعقل بفضيلة التعرف وان
لم يكن ذلك شقي به النصحا واستعذبه ذو الملق وهذا لان
الناصح يشفق على من نصح له عقله وبالعقل يدرك العقل وكان
يقال اشد اللوم ان تظن بالنصح على من سمح لك بالثقة وان
تستر الصواب عن من هتك لك حجاب سره وكان يقال اولى
العقلا النصحا بقبولك منه واقبالك عليه من كانت سعادتك
شرطًا في سعادته وعلة لها ومن كنت منه بهذه المنزلة
فسعيه لك سعي لنفسه وذبه عنك ذب عنها قال جليس لبهرام
انه قد ساني تبرم ابن الملك وضجره لما لقي من خدمة ابيه وانا اشير
على ابن الملك باظهار البشر بما اظهره من التبرم والضجر اذ كان
الملك قد استعمله في عمل لا بد للعامل من اظهار البشر والطلاقه
وان من صحب الملوك بما لا يوافقها تحركت عليه بالغضب ولا
ينبغي مع هذا ان تظهر من ذلك ما يظن خلافه فان الريا يعطي
يتصل بالطبع تصول الخضاب عن الشعر ولينا ملك ابن الملك

القضية التي كرهتها بعين العدل يظهر له حسنها وذلك ان
الملك استعمله على شرابه الذي هو جماع لذاته وحليف طربه
ومسرته وراحة نفسه من تعب التدبير ومشقته ووكل مع هذا
حراسة مهجته ورضيه لحفظها في مجالس خلوته ووثق بكفايته
في صون شرابه من بلية او آفة او فتنة يفضله بها اعداؤه
من جهة الشراب او حال يدخله على عقله السكر والاضطراب
وكيف يصلح ان يعدل لولده النجيب الحبيب بهذا العمل العلي
قدره العظيم خطره ام كيف يطيب نفس الولد الفاضل
ان يرى اباه صارفا هذا العمل الى سواه فليصرف ابن الملك فكره
فيما ذكرته له مما يظهر من الغبطة بهذه الخطة راجعا الى
عقد يوافقه ومعنا يطابقه ولا يتخالف من ذلك الا ما ينبغي
رفضه ولا يلزم منه ما يستحب نقيضه فنم عليه بما اسره
توسع الابصار وتكهن الافكار **فانه كان يقال** الدباشر يستخرج
الفطن القاصرة ولا يخفى عن البصائر الباصرة **وكان يقال** انما
ينبسط سلطان الريا على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون
الغيب واما العاقل فلا ينبسط سلطان الريا عنده لان الاول
الجحد قد كاشفه بكثير من الغيب لاختصاصه اباها فقد فطن
الدب على بلادته لرمة القرد لاختصاصه اباه فقال بهرام
اخبرني عن ذلك فقال جليس ذكروا ان دبا كان يسرح في غيضة
ذات اشجار مثمرة وكان في تلك الغيضة قرود فكان الدب اذا
يرى فوق القرود على رؤوس الشجرة والتناول لاغصانها واجتنا

اطايب

اطايب الثمر تحدث نفسه بان يصيد قردا منها ويكلفه ان
يجتني له الثمر بصعود شجره والقى نفسه منها والقردة تنظر اليه
وجعل يتخبط طويلا ثم تماوت وفتح فاه واخفى نفسه واجتمع
القردة لرايته فقال لها حازم منها لا يبعد ان يكون هذا الدب
خادعا لنا وان الحزم ان نجتنبه ونحذر منه فان لم يكن بد من
الدنو منه فهلم نجمع حطبا وندره حوله ونضرم فيه نارا فان كان
متصنعا افتضح وان كان ميتا فلا ضرر علينا في احراقه **فانه
كان يقال** عدوك ضدك وحكم الضد التنائي والتنافر والتدابر
وكان يقال لا تطا ارضا وطئها عدوك الا على توق واحتراس
ولا يغرك خروجه منها وبعده عنها فربما رتب لك فيها شيئا
وليس فيها اشراكا **وكان يقال** لا تغش عدوك الا متسلحا
متحرزا متحفظا ولا يغرك فيه استسلامه والقاء السلاح
فما كل سلاح يدرك بالبصر وقد غر الراهب اللص بمثل ذلك
فتم له ما اراد فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال **زعموا ان
راهبا فاضلا من الرهبان** كان فاضلا وكان متبتلا في قلاية
يظاهر الا دفنه وكان شيخا فانيا قد نهكته العبادة وكانت
النصارى يحصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها اهل الفاقة
لزهده في الدنيا وان لصا من اللصوص راى كثرة ما يخص
به ذلك الراهب من الصدقات فحدث نفسه بان يتسور
عليه فلا يتد في الليل وظن انه سيصيب عنده كنزا

تتحيل ليلة من الليالي حتى تسور القلاية وحصل مع الراهب في
بيت تعبده فوجده قايمًا يصلي والسراج يزهر في البيت
فصاح اللص بالراهب استاسر ايها الشيخ قبل ان القي عنك راسك
فالتفت الراهب فراى اللص فاذا هو شاب شديد البنية
وبيده سيف مصلت فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته
وقربت يديه اللص الى ناحية من البيت في حايطها طاق
فادخل الراهب راسه في الطاق ورد يديه الى خلفه كما يصنع
بالمكتوف فلما راى اللص ان الراهب قد استسلم القى السيف
ووثب نحو الراهب ليقبض عليه حتى قرب من الطاق فانخسف
به ما تحته وسقط في دهليز القلاية سقوطا اوهنه ومكث
على حالته لا يجد محيصًا من الموضع الذي حصل فيه حتى اصبح
فدل الراهب عليه فاخذ وصلب وقد كان الراهب اتخذ في
طريق الطاق نفقًا وجعل عليه طبقًا يتقلب اذا اعتمد عليه
وغطاه ببعض فراش البيت فلما قصد الى الطاق هاربًا بين
يدي اللص تحرف عن ذلك الموضع وتخطاه لمعرفته به ولم يضع
رجله على الطبق واللص لا يعرف ذلك ولا استعمل الحزم بالتحفظ
بل عول على ما ظهر له من استسلام الراهب ولم يدر انه قد اعد له
سلاحًا لم يدركه البصر فلما سمعت القردة كلام جارمها والمثل
الذي ضربته لها توقفت على الاقدام على الدب وانتشرت بجمع الحطب
لاحراقه فاتى غيرها من القردة لم يكن حاضرا ذلك المقام ولا سمع مال[?]
مقالة ذلك الحازم فدنى من الدب واصغى باذنه الى انف الدب

يسمع

حتى لقيته فقبض الدب عليه وعمد الى عرق من عروق الخيزران
ثم ربط طرفه في وسط القرد وكلفه ان يصعد الشجر فيجتني
له اطايب الثمر ويلقيه اليه والدب ممسك بطرف الاخر من
عرق الخيزران فلبث القرد بذلك بقية يومه ثم انصرف
به الدب الى الغار فادخله فيه وسد بابه عليه بصخرة ولما
اصبح غدا على القرد فاخرجه من الغار وانطلق به الى الغيطة يجني
له الثمر عامة نهاره ثم رجع به الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك
مدة والدب قد بلغ مناه والقرد في اسوا حال واعظم مشقة
يصل نهاره في خدمته ويبيت ليله في محبسه وكان يقال
من تعرض لما لا يعنيه تورط فيما يعنيه وكان يقال شهوات
العاقل من وراء فكره فاذا انبعثت له شهوة مرت بفكرة تنظر
الى مباديها وعواقبها وتدبيرها ما فيها بحكم الراي وفكر الاحمق
من وراء شهواته فكلما انبعثت له شهوة مرت لوجهها ما فكرة
لا تصدها شي وكان يقال انما صار يسير المونة المتحملة
للعدو شاقًا لان الارواح تتحمل منها اضعاف ما تحمل الابدان
فيصير الاذى بها عامًا وليس كذلك المونة المتحملة للحبيب
لان الارواح تتلذذ بها وتستخدم الابدان بها قال ثم ان القرد
تفكر في حاله وظهر له ان نصحه في خدمة الدب يمنعه من الخلاص
فقدم على نصحه في الخدمة وعلم انه لا ينجيه منه الا الحيلة
فطالت فكرته في ذلك الى ان اتخذ له وجه الحيلة فيه وكان
يقال اذا كان المملوك ميت الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة

فهو سلم لمالكه ولئن لم يكن بهذه الصفات فان الحقيقة شريكا
هو املك به من صبره وذلك انه ان كان متحرك الشهوه
كان منقادا لطاعتها واذا اصح فكرته اعملها في طلب الراحة
من النصب والخلاص من الاسر واقامه الحج في الدفع عن نفسه
واذا امت همته انصف بالغضب والانفه والحقد ويريد مالا
يريد سمعه قيل وكان مما عول عليه القرد من الخديعة للدب
ان تظاهر بضعف البصر فصار يلقي الى الدب من التمر مالا
خير فيه فزجره الدب عن صنعه فلم يزدجر وضربه فلم
يرتدع ولما طال عصيانه قال له الدب اني قد سئمت من
زجرك وضربك وقد حدثتني نفسي باكلك لانه لم يبق
لي فيه منتفع وكان يقال اذا لم تجد من الخدمة الامن
ما ادبك فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك
من المشقه اضعاف ما يحمل عن يدك فقال القرد اني لست على ما
تصفني من سوء الادب ولو قتلتني لندمت كما ندم صاحب
الطحان حين قتل حماره فقال الدب اخبرني عن ذلك فقال
القرد يحكى ان طحانا كان له حمار يطحن به وكانت له زوجة
سوء يحبها وهي تحب جارا لها وكذلك الحمار الذي تحبه يبغضها
ويمتنع منها فرأى الطحان في منامه ان قايلا يقول احتفر في
موضع كذا في مدار الطاحونة تجد كنزا فحدث امرأته برؤياه
وامرها بكتمانه وكان يقال من زعم انه يجد راحة افشا سره
الى غيره فانهم غفله لان مشقه الاستبداد بالسر وترك المشاورة ركة

اقل

اقل من مشقة الحذر من انتشاره بسبب المشاركة فيه وكان يقال
امران يسلبان الحر كما الحركة وهما قبول البر وافشاء السر
وشرح هذا ان من قبلت برة فقد وجبت على نفسك الخضوع
له والاحسان برق الانسان وكذلك من اطلعته على سرك فان
حذرك من افشائه يلزمك قبل التقية له وكان يقال المرأة
موهلة لبيت نعمة وطعام ترحه وولد تربيه ومغزل تديره
وشيء تسكنه وتشره ممن اشركها في امره واطلعها على سره
فقد التجى معها اذ ليس في قواها الا التحاق بعالمه قيل فلما
حدث الطحان امرأته برؤياه اخبرت جارها الذي تهواه
وتقربت بذلك من قبله فواعدها ان تطرق الموضع ليلا
لينبعا وتاعلى حفره وفعلا ذلك فوجد الكنز واستخرجاه
فقال جار المرأة لها كيف نصنع بهذا المال فقالت المرأة نقسمه
نصفين بالسوا فينطلق كل واحد منا بنصيبه الى منزله
وتفارق انت زوجتك واحتال انا في فراق زوجي فاذا اجتمعنا
على النكاح جمعنا المال فكان بايدينا فقال لها جارها انا اخاف
ان يطغيك الغنا فتنكحي غيري وانه كان يقال الذهب في
المنزل كالشمس في العالم وكان يقال اليسار مفسدة لغلبة
شهواتهن على عقولهن وكان يقال لا تسمح لولدك ولا امرأتك
ولا لخادمك بما فوق الكفاية فان طاعتهم لك بقدر
حاجتهم اليك ثم قال بل الراي ان يكون حمله المال عندي
لتحرصي على التخلص من زوجك واللحاق بي فقالت له المرأة

اني اخاف منك الذي اخاف ولست بمسلمة لك حظي من هذا المال فلا
تحسدني على حظي منه وقد اثرتك بالدلالة عليه وانه كان
يقال انما صار العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد الزمان
لان الشكر انما يجب لمن تفضل بطوله واما من اعطى الحق اهله
فهو محمود لا مشكور فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره والحذر
من تنبيهها عليه الى قتلها فقتلها والقاها في موضع الكنز وباغته
الصبح فانجلى عن مواراتها فاحتمل المال وخرج ودخل الطحان
على اثره فربط حمارا في المدار وصاح به فمشى خطوات
ثم اعترض الحفيرة والقتيل بين يديه في مداره فوقف فضربه
الطحان ضربا شديدا والحمار يتلوا ولا يمكنه التقدم
والطحان لا يدري ما بين يدي الحمار فاخذ سكينا ونخسه
نخسات كثيرة ثم استشاط عليه غضبه فطعنه بها
على خاصرته فمرت فيه السكين وسقط ميتا ولما انتشر الضوء
الطحان الحفير ووجد امراته فيه قتيلا فاستخرجها فراى اثار
الكنز فاشتد اسفه على ذهاب الكنز وهلاك امراته والحمار
فقتل نفسه فلما سمع الدب مقالة القرد قال له قد ظهر بما
اضربت من المثل عذر الحمار فما عذرك انت فقال له القرد
ان لبصري ضعف واني اخاف ان يذهب بالجملة فان رايت
ان تنظر في صلاحه فذلك بيدك فقال الدب ومن لي بصلاح
بصرك ان فيه صلاحي فقال له القرد ان الاطبا لكثيرة ولكن
العاقل لا يستطب الا لمن لم يكن من عالمه وان للقرد ...

طبيبا

طبيبا بصفه بجودة الصناعة والزهد في متاع الدنيا واني
لا استروح العافية من تلقائه واستلوح الفرج في لقائه فاجابه
الدب الى ما اراد وقصد به القرد وكان قردا موصوفا بالخبث
والدها فلما بلغا اليه فر من الدب فصعد شجرة وقام الدب
تحتها فقص عليه ذلك الامر ورغب اليه في مداواته فقال له القرد
الخبيث دعه يطلع حتى انظر الى عينيه فارتقى له الى الشجرة
فصعد فجعل ينظر في عينيه ويساله عن خبره فقص عليه خبره مع
الدب وساله ان يفتح له باب المكيدة في الخلاص من يده فقال
له القرد الخبيث اني سا حمله على السهر فاحتل لنفسك بانتهاز
الفرصة اذا نام وكن على حذر من ان ينام ليختبرك ثم امره
بالنزول فنزل فاقبل القرد الخبيث على الدب فقال له
ينبغي ان اعرفك داء عينك هذا قبل ان ادلك على دوائه اذ
يستحيل العلم بالدواء من الجاهل بالداء فاعلم ان القردة انما
صحت جسومها وقلت لحومها وتوقد فطنتها وفهمها
لانها وفرت على السهر دواعيها وجعلت لليلها حظا من
مساعيها وانه كان يقال كثرة النوم تجلب الدمار وتسلب
الاعمار وكان يقال من لزم الرقاد حرم المراد وكان يقال لا يصح
ان يقول في حد الجود انه سماحة النفس بالنفس ولو صح
هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه يسمح بعمره
التي عدها كفا ولا يصيب منها عوضا ثم قال القرد الخبيث
انك لما اخرجت عينك هذا اعما انما ادخلته عليه

الفساد كما صنع بالطاير الذي صيد لابنة الملك قال له الدب
اخبرني عن ذلك فقال القرد ذكروا ان ملكا من ملوك النواتيس
كانت له ابنة تكرم عليه جدا فهاجت عليها المرة السودا فادخلت
عليها انواعا من الامراض وبلغ بها الامر الى الامتناع من الغدا والدوا
فاشار طبيبها ان تنتقل الى ارتفاع تشرف منه على بستان انيق
وماء جار ففعل ذلك بها فرات في ذلك اليوم الذي نقلت فيه
الى ذلك العلق طايرا فيه من كل لون قد نزل على البنة فاكل
من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع النغم المطربة قال
فارتاحت الجارية لما رات وسمعت من الطاير واستدعت
الغدا وكان يقال افضل النغم المطربة ما سمع من الصور
الحسنة لانه يحرك الشهوة والطرب جميعا فينتظان في القوة ن
ويفعلان فعل الادوية المركبة فانه انجع من المفردة واشد
فعلا قيل ثم ان الطاير اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك
فظهر في ابنة الملك القلق لغيبته ولما كان من الغد عاود
الطاير الدالية في مثل وقته بالامس فسرت ابنة الملك لعوده
واستبشرت وارتاحت واكلت وشربت فانصرف الطاير من
يومه كما فعل بالامس فعاودها القلق لغيبته فبلغ الملك خبرها
في ذلك فامر باصطياد ذلك الطاير فاصطيد لها وجعل
في قفص واتخذت ابنة الملك به فاشتد سرورها وتداوت
واغتذت وراى الطبيب انتعاش قوتها فعالجها وطمع في
سلامتها ولم يعلم بامرها مع الطاير وان ذلك الطاير لبث

عندها

عندها اياما لا يصوت ولا يطعم شيئا واخذ حسنه في التغير نعادت به
فصارت الجارية الى اسوا حال وجعلت تذوب لما نالها من
الاهتمام بامر الطاير مضافا الى مرضها فعلم بذلك ابوها فندم على
اصطياد الطاير وكان يقال لا تكن تلميذ المن تبادر الى الاجوبة
الى المسايل قبل ان تتدبرها وتتفكر فيما تفرع منها وبعد
لكل ما يمكن ان يعترض به على جوابه ويلزمه خصمه من
المناقضة لاصوله دايما كما انك لا تنتسب الغر الذي
لا يجاوز مبادي الاراء الى عواقبها ولكن كن تلميذ المن يتفكر
في الاواخر قبل ان يحث على الاوايل كما تساور المحنكا لمتدبر
لبطون الاراء وظهورها المطلع على مباديها وعواقبها قيل
فلما علم الطبيب ما انقلب حال الجارية اليه من الفساد علم
ان ذلك لعارض طرا عليها فبحث عنه فاطلع على قصتها
في الطاير فامر ان ينصب شباك محيطة بالبستان علوا وسفلا
فصنع ذلك على ما اشار به ثم اطلق الطاير في البستان فلما
رجع الطاير الى ما اعتاده والفه رجعت صحته وحسنه ورجع
وعاد الى تغريده فصلح بذلك حال الجارية ونقهت من مرضها
قيل فلما تم المثل قال الدب قد سمعت مقالتك ووعيت
حكمتك فامرني بما فيه مصلحة عبدك هذا اطع امرك فقال
القرد اني امرك ان تتاخر في مسرحك جزءا من الليل فان ذلك
زيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك وتهيج نشاطك وتضاعف
لذة منامك وهي مضاعفة لمصلحة غلامك فشكر الدب على نصحه

وانطلق يعدو الى مسرحه فاحتشنا له كمارة ذلك فلما جا الليل
اظهر القرد نشاطا ومرحا واحتينا في اضعاف ما يجتنيه ثمرات
طيبه فلبث بذلك صدرا من الليل ثم انكفا به الدب الى
المغارة فحجبه على عادته ولبث القرد اياما ما يتظاهر
فيها اذا جاء الليل بقوة البصر ويجتني للدب اطايب الثمر
على حال تدريج والدب لم تسكن نفسه الى الثقة بالقرد بل
يتكلف عليه انه مُراء متصنع مخادع وكلما تزايد من
من القرد تصنعه تزايد الدب من الريبة وانه ذات ليلة
من الليالي اراد الانصراف الى ماواه ليجعل القرد بباطله ويقول
هاهنا ثمرات طيبة فتاخر الدب لما طبع عليه من الشره والنهمة
وكانت ليلة مقمرة فحدث الدب نفسه بان يتنام ويختبر
القرد ويمحص ويمتحن ظنه فتناوم وجعل يغط فلما كذب
القرد ان وثب هاربا وجذبه الدب بالحنين انه خدنه شديدة
فانقطع ظهره نبل ولما بلغ جلبيس غاية هذا المثل الذي
ضربه لبهرام امسك عن القول فقال ما يهجني تقربك واقر
عيني ما يبعد بي من حلمك وتضرب لي من امثالك وتخلوا
علي من ملحك ولئن نفيت الى ان تدول لي دولة لاجعلنك
اول داخل علي واخر خارج عني وسائر وص نفسي
بادابك هذه مستعينا بالله فسجد جلبيسا ودعا له بنجح الامل
ثم ان بهرام حضر مشهد والده ليلة من ليالي سروره وقد نصبت
البواقين بين يديه وكل مثل الزراب المحملة والنيجان الذي المرصعة

فذكر

فذكر لبهرام ابا منصور النعمان وانتجاعه الرياض الانيقة
وتنزهه فيها على الازاهير المطلولة وما كان يتنعم به من
مشاركة الوحش في نعائمها ومرادها والتفكه بطرادها واصطيادها
فاطرق واستولت عليه الفكرة وعبس وتنفس الصعداء
وابو يزدجرد يسارقه النظر ثم انه استفاق ونظر اليه
وعلم انه كان غرامه تسقط في يده ولم ينهض ساعة حتى
قبض الملك يده ونكس راسه فنهض كل من يحضرته من ندمانه
وسماره وكانت تلك عادة الملوك ملوك الفرس اذا عبس
الملك منهم واطرق لم ينطق بحضرته احد الا اسوى قايما
على حال حسنة وسكون وكان لايزدجرد مضحك ظريف اللسان
لطيف الفطنة حسن الانتزاع جيد البديهة فحضر ذلك
المقام وفطن لما مر الذي تنكر له الملك وان ذلك لما كان من
عبوس ولده والمراقد في مجلس انسه فحدث ذلك المضحك
نفسه ان يحسن الى بهرام ويصطنع عنده يدا فيتحيل له بحيلة
تخلصه بها من غضب الملك فبينما هو يناجي نفسه بالحيلة
في ذلك اذ رفع الملك راسه الى المضحك فنظر اليه كانه يخبره
على ان يصنع شيئا في سلوه له فسجد المضحك ثم جثا على
ركبته وقال العبد الذليل يستاذن الملك في شي ان يخبره
عن نفسه بخبر فنظر الى بهرام كالاذن له فقال المضحك ان العبد
في حداثة نفسه كلفا بالنسا مفرط الشبق اليهن الا انه كان
ملولا لا يثبت على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن

امراة هام بها وتهالك عليها وكان يقال من اتبع سخطة هواه
أدحضه واهواه وكان يقال كن من عينيك على حذر فرب
جنوح حين جناه جموع عين وكان يقال ما أخر الملوك بان
يحرم المامول وكان يقال التشاؤم من اخلاق العامة لا من اخلاق
الخاصة وكان يقال التنقل من خلة الى خلة كالتنقل من ملة الى ملة
ثم قال المضحك وان العبد دخل بلاد السند فبينما هو يطوف
ببعض مدنهم راى امراة لم ير قبلها مثلها في حسن الصورة
وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولباقة الاشارات وسحر
الطرف وتالق الظرف فتبعها العبد وهو لا يرى موضع قدميه
من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلت ولزم العبد باب
منزلها ليلا ونهارا فارسلت اليه تستعفيه من لزوم
العبد منزلها وتحذره سطوة اهلها فشكى العبد الى رسولها
ما يلقاه من الشغف واعلم الرسول انه لا معدل له من بابها
وانه مستميت في طلابها فلهيت عن العبد مدة ثم اعادت
الرسول اليه فرده العبد اليها مثل كلامه الاول فارسلت
الى العبد تقول له اني اظن بك الملل والغدر ولولا ذلك لاسرعت
الى مساعدتك واني متزوجتك بشرط الوفا فان غدرت اهلكتك
بعد ان انكل بك نكالا يضرب به المثل فان التزمت هذا
الشرط فاقدم والا فانج بنفسك قبل ان يتعذر عليك الخلاص وكان
يقال اربعة ترفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم مكروه من كذب طبيبه
فيما يصف له من دائه ومن تعاطى ما لا يستقل باعبائه

باعبائه ومن

باعبائه ومن بذر ماله في لذاته ومن اقدم على ما حذر من افاته
وكان يقال من بصرك فقد نصرك ومن غشك فقد
ابغضك وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ومن
حذر وبصر فما غدر ولا قصر قال المضحك فالتزم العبد الشرط
واعطى من نفسه المواثيق على الوفا وتزوج العبد المراة وبلغ منها
امنيته فلبث معها مدة ثم ان نفسا نزعت لها وجعل يراسلها
ويلازم بابها فتبرمت منه فبعل فلمحها العبد واعجبته ومالت
نفسه اليها فتبعها العبد الى منزلها وجعل يراسلها ويلازم بابها
فتبرمت منه وشكته الى امراته فعاتبته امراته على ذلك
وزجرته واذكرته العهود والمواثيق ونهته فازداد
الحاحا فلما رات ذلك منه سحرته فصار اسود اللون
مشوه الخلق وجعلت تستخدمه في كل مهنة فما شغله
ما هو فيه عن ان هوي امراة سوداء فجعل يتبعها في تصرفها
ويتعلق بها ويوذيها فلما كثر ذلك على الامة شكته الى امراته
التي سحرته وكان يقال من كان طبع المطبوع املك به من
ادب المودب لان الطبع اصل وتلك القوى الناشية معه
فهو املك بالنفس التي هي محله لاستبطانه اياها وكثرة
اعوانه بها والادب طارى على المحل غريب به وكان يقال
اصل المودبين سعيا من رام من المودب ان يعاونه
على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه واثر
عنده من مؤدبه لكن المودب الماهر من طالب التادب

يسير المذموم من شناعته ولعنته والنوبة عنه قال المضحك فلما
بلغ امراة العبد ما كان منه اشتد غضبها عليه ثم سحرته فصار
حمارا فجعلت تكريه من يستعمله في اشق الاعمال ويحمله اثقل الاحمال
فلبث بذلك مدة طويلة ولم يبعه ما هو فيه من البلا على ان
هوا اتانا فاشتد شغفه بها فكان كلما راها نهق وطلبها اشد
الطلب ويرد عنها بالضرب فلقا من ذلك جهدا وبلا شديدا
واتفق ان امراة العبد التي سحرته زارت ابنة الملك ملك
تلك المدينة وكانت معها في علو لها تشرف منه على ما حوله
وكان العبد في ذلك اليوم قد استاجره شيخ ضعيف البدن
كبير السن فاحتمل عليه اواني الفخار في جولقين ومر به على
قصر ابنة الملك فراى عند القصر ذلك الاتان التي نهوا ها
فما ملك نفسه ان نهق وقصدها وفعل ما يفعل الحمير مثل ذلك
وجعل الناس يضربونه من كل جانب والفخار يتساقط من
ظهره والشيخ صاحب الفخار يصيح ويستغيث بالناس
وجعل الصبيان والسفلة يطعطعون من كل جهة والاتان
قائمة بين يديه ترمح وهو يطلبها على ذلك الحال فرات ابنة
الملك ذلك كله فاعجبها واضحكها فقالت امراة العبد
التي سحرته يا ابنة الملك الا اخبرك باعجب من ذلك مما رايت
من هذا الحمار قالت لها بلا فافعلي فاخبرتها بحديثه معها
واشتد عجبها مما رات وسرت به ثم سالتها ان تبطل سحر العبد
وتخلي سبيله فاجابتها الى ذلك وابطلت السحر عن العبد

فعاد

فعاد بشرا سويا فلم يكن له هم الا الفرار من بلاد السند قيل فلما انتهى
المضحك من حديثه الى هذا المبلغ سكت وقد كان الملك يزدجرد
اشتد ضحكه لما سمع من حديث المضحك وما شاهد من حركاته
في وقت حديثه فلما سكن ضحكه وعاوده الوقار والالهة اقبل على
المضحك وقد الفه له فقال له ويحك فقال ما حملك على ان
تكذب هذه الاكذوبة الشنعا كانك ما علمت انا نحضر الكذب
على رعيتنا ونعاقبها عليه وقد قالت الحكما الكذب كالسموم التي
تقتل اذا استعملت مفردة وقد تدخل في تركيب ادوية فينتفع
بها ولا ينبغي للملك ان يطلق الكذب الا لمن يستعمله في المصالح كالكذب
في كيد الاعدا او في بالبيف لتبعد اجما لا ينبغي ان تطلق تلك السموم
التي ذكرناها الا للمامونين عليها المتطببين بها من المعدين
فقال المضحك ايها الملك السعيد ان هذا مثل يتضمن من الحكم ما يعود
لمصلحة المراض به والذي حملني على ذكر امرا يلزم ستره عن
غير الملك فاشار الملك الى جلسائه فقاموا وخرجوا عن مجلسه ثم قال
الملك للمضحك هات ما عندك فقال المضحك ان عبدا للملك
يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق قال الملك لمن قال لابنة
الاصبهبذ فقال الملك لقد كان من بهرام في هذه الليلة ما يدل على
صدقك ولا لوم على ولدنا في ذلك اذ لم يصنع من نفسه عجيبة
ابنة حافظ ملكنا وسيد اوليانا وسيبلغ ولدنا امنيته ونحن
الملك فاطلعا على السر واكتم ذلك حتى ننفذ امرا فيه ثم ان
يزدجرد اذن لولده ولندمائه وسماره ومطربيه فعادوا

الى مجالسهم واخذوا فيما كانوا فيه ورجع الى يزدجرد سروره وطربه
الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من مجلسه وتبع المضحك بهرام
واخبره بالخبر على وجهه فشكر له ووصله ثم ان يزدجرد اسكن
ابنه بهرام ابنة الاصبهبذ ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضى
لخدمة ابنيه حتى انقادت لما اراد منها فلبث كذلك الى ان
قدم اخ لقيصر على يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنة والموادعة
فاكثر يزدجرد قصده وعوله وقبيله واحسن نزله فلما راى
بهرام منزلة اخا قيصر عند يزدجرد استشفع عنده في رده
الى النعمان فشفعه واذن لبهرام بالتحول الى بلاد العرب فكان
فيها على ما احب الى ان هلك ابوه وورثه ملكه قال محمد عفى الله
عنه هذه خاتمة سلوانة الرضى وقد عن لنا ان نذكر ما يجمل
به يلم بخبرها وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث من عتيه
بعده وكيفية مصير الملك الى ابنه بهرام وذلك فيما ذكره
المعتنون باخبار الملوك ملوك الفرس ان يزدجرد لما كثر عسفه
واشتد عتوه وعدل عن نهج ما نهجه سلفه من العدل والرافة
اجتمعوا وجوه رعيته من ذوي الصلاح عنده فدعوا الله على
يزدجرد وسالوه معا فانهم منه فرحم الله مراعاتهم واستجاب
دعائهم فبينما يزدجرد جالس في منظرة له دخل عليه حاجبه
فاخبره ان فرسا متوحشا عاريا قد جمع صفات الخيل فهو
ذو صورة لم ير الراوون مثلها جاء يشتد عدوا حتى قام بباب
الملك وان الناس تهيبوه فلم يجتري احد ان يدنوا منه وان

الخيل

الخيل قد تاقوا فيه فلا يقدم عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من
وصف الفرس فنهض نحوه فلما عاينه ملى اعجابا به ودنا منه فخضع
له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته ووجهه وقبض بناصيته
وامر بسرجه والجامه فالجم واسرج فيقال ان يزدجرد استدار
بالفرس ومسح كفله فرمحه الفرس رمحة خر منها ميتا وملا
الفرس فروجه عدوا فما عرف الى اين توجه ويقال بل ركبه
يزدجرد وحركه فنشوا الابصار الى ان انتهى الى البحر فاقتحم به فيه
والله اعلم اي ذلك كان ولما راى الفرس ان الله سبحانه وتعالى
قد اراحهم منه اجمعين على ان يخرجوا الملك عن ولده بهرام خوفا
ان يسير فيهم كسيرة ابيه فملكوا رجلا من ابناء ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فمحا ما شرع يزدجرد
من المظالم واعفى الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس بركة
رايهم في تمليكه وانتهى الخبر الى النعمان فاطلع عليه بهرام
واخبره انه عاضده وناصره وان يبذل نفسه وماله في مرضاته
فشكر له بهرام وامره ببث الغارات على اطراف بلاد الفرس
مع الكف عن سفك الدما فامر النعمان العرب ان تفعل ذلك فاشتد
ضررهم فارسلوا الى النعمان يستشفعونه ويسالونه العود على
احسان المجاورة فلما انتهى الرسول الى النعمان قال لهم انما انا خادم
بهرام افعل ما يامرني به فاذهبوا اليه فذهبوا اليه فلما عاينوه
ملأ عيونهم جمالا وصدورهم جلالا فخروا له ساجدين وسالوه
العفو والصلح فاجمل خطابهم وقسط امالهم وامرهم

ان يبلغوا امرهم وراءهم حسن الراي فيهم مؤملا لاصلاح شانهم وانه
متوجه اليهم ليتولى اخبارهم عن نفسه واقامة الحجة عليهم فليتأهبوا
لذلك ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتايب
في كل كتيبة الف فارس من انجاد العرب ثم سار فيهم وسار النعمان
بين يديه في جيش لجب فلم يكن عند الفرس له مدفع حتى
انتهوا الى دار الملك فنزلوا بظاهرها فخرج اليهم زعماء الفرس
وحفظة دينهم ونصب لبهرام كرسي فجلس عليه وقام النعمان
بين يديه وتقدم القوم فسجدوا وقاموا بين يديه فاذن
لهم في الكلام فتكلم رئيس الموابذ فحمد الله وذكر رافته بخلقه
ثم ذكر ما سار فيهم يزدجرد من الجور وما فعل الله به ثم اتبع
ذلك بذكر كراهة الفرس لتمليكه لما يتخوفونه من سلوك
سبيل والده لاسيما وقد نشا بين العرب الذين يصلحون جسومهم
باخراب الارض وسالوه ان يعفي الفرس مما كرهوا فانهم لا يملكونه
طايعين ولا يقصرون في دفعه من ذلك بكل ما امكنهم فلما قضى
رئيس القوم كلامه تكلم بهرام فحمد الله سبحانه وشكر نعمته عنده
وصدق رئيس الموابذه فيما نسب اليه يزدجرد من الجور
والعسف ثم اتبع ذلك بذكر ما كان يتمناه من مصير الملك
اليه ليزيل رسوم الجور ويشيد قواعد الحق ويذيق الرعية
من حلاوة رافته واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من
تخليصه والله مع ذلك يدعوهم الى ان يضعوا تاج الملك وزينته
بين اسدين ضاريين ويحضرهم وكسرى المتغلب على ملكه

من اخذ

من اخذ التاج والزينة من بين الاسدين فهو الملك اولا وذكر
لهم انما يفعل ذلك رافة برعيته وصونا لهم عن مقاومته ودفاعه
وثقته بنصر الله وعونه لما يعلمه من حسن طويته وخلوص
رعيته ويشيد في اصلاح الارض واهلها فرضي زعماء الفرس بما
بذله بهرام ورجوا الراحة منه بذلك من غير مشقة تنالهم في
دفعه وانقلبوا عنه متعجبين من جلاله وكماله وفصاحته
وانهم ثم عمدوا الى اسدين ضاريين وجوعوهما واخرجوهما
الى ظاهر المدينة في قفصين من حديد وفي عنق كل واحد منهم
سلسلة في طرفها وتد من حديد فضربوا الوتدين في جهتين
مختلفتين وجعلوا لهما بقدر ما اذا خرج كل واحد منهما
فقصد الاخر بلغ اليه وجعلوا تاج الملك وزينته بينهما
وبحيث يمكن كل واحد من الاسدين الوصول اليهما والذب عنهما
ونحوا القفص عن الاسدين فخرجا وقد اجتمعت امة عظيمة
من الفرس واجتمع العرب فقاموا بان ايهم يخرج بهرام من قبته
وقد شد وسطه بمنطقة وجمع ذيوله اليها بازرير الصفوف(?)
ونادى كسرى ان اخرج ايها المتوثب على ملكنا المتغلب على
تراثنا عن ابايتنا فخذ تاج الملك الذي انتزعته من اهله فاجابه
كسرى انك اولى بالتقدم الى ما اعطيت من نفسك لانك الداعي
اليه المتنزع انك تطلب الملك بوراثته وانا غاصب فتقدم بهرام
الى الاسدين ولا سلاح معه فلما راى رئيس الموابذ ان بهرام
قد عزم على فعل ما بذل من نفسه ناداه يا بهرام انك مستهبت(?)

ولا اثم علينا فيك فقال بهرام انا جعلت ذلك لي نفسي لمن افتني فيكم
ولا بد من فعله فقال له موبذان انت لا بد فاعله فتب الى الله
من ذنوبك وتب اليه فاستعينه فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله
الى الله منها وساله العون ثم دنا من الاسدين فقصده اسد
منها فلما قاربه راغ عنه بهرام روغة ثم وثب من الارض فاذا
هو على ظهر الاسد فضم الاسد بفخذيه ضمة شديدة لها
الاسد وفرج بين قوائمه وثبت بمكانه يلهث وقصده الاخر
فانتهى اليه حتى الصق راسه براس الاسد الذي تحته حتى
سقطا جميعا ميتين فقام بهرام قائما على قدميه وحمد الله على
صونه وعونه وازال ذنوبه من منطقته وتناول تاج الملك
فوضعه على راسه فناداه كسرى الذي كانت الفرس
ملكوه ليهنئ بهرام الملك ان الملك ما اعطاه الله من ميراث
سلفه فكلنا سامع مطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس بالدعاء
له وتقدم اليه موبذ فاخذ بيده واجلسه على سرير ملكه
وشد عليه زينة الملك ودانوا له بالطاعه وتتابع زعماء الفرس
على ذلك وركب بهرام فدخل المدينه ونزل بقصر ابيه وفرق
الاموال في ذوي الحاجات واهل النعم وحبا النعمان بن المنذر
وشرفه وتوجه واجاز الذين صحبوه باسعهم على اقدارهم ثم انه
وفا الرعيته بمواعيد عدله واحسانه ولم يزل محمودا فيهم
حتى هلك وقد دونت له الفرس اخبارا عجيبه اوردنا منها
خبرين نادرين كتابنا المسمى انبا نجبا الابنا وبعد

فلله

فلله الحمد بما هو اهله والله الموفق وبه الاستعانة والهداية

السلوانة الخامسة وهي سلوانة الزهد قال الله ربنا

تقدس اسمه مخاطبا لاحكم من استخلفه في ارضه واعلم
انه من كلف ما يرضيه الذي كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه
فيما يبديه ويخفيه ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه هذا بعد ان خيره بين ان
يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار فقد الملك على غنا الملك

شعرا

قال له جبريل عن ربه   خيرت فاختر يا دليل الهدى
نبوة في حال عبد به   تحوى بها القدح المعلى غدا
او حال مليك تجر العدى   بين يديه ضعفا سجدا
فاختار ما يحظى به اجلا   لله ما اهدى وما اسعدا

خبر نبوي في زهد الملوك من حديث ابن مسعود

رضي الله عنه قال ان ملكا ممن كان قبلكم بينما هو في ملكه
ادركه الخوف لله فترك ملكه وخرج حتى اتا النيل
فكان على شاطئه فضرب اللبن يعني الطوب ونفقاته
من ذلك فسمع الملك الذي كان في ارضه بخبره فارسل اليه
يقول له كن بمكانك حتى الحق بك وترك الاخر ملكه ثم لحق
به فكان امرهما واحد الى ان هلكا قال عبد الله ابن مسعود
فلو كنت بمصر لاريتكم قبريهما بما بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورويناه بلفظ اخر وهو ان عبد الله بن مسعود قال

بينما رجل في موكبه تذكر فعلم ان ما هو فيه منقطع وانه قد
شغله عن عبادة الله فانساب من قصره ليلا وصار الى مملكة
غيره فاما باحل البحر يضرب اللبن ويتغذى من ذلك فبلغ
الملك الذي كان في مملكته عبادة فركب اليه وسأله عن حاله
فقال له ان فلانا صاحب ملك كذا وكذا علمت ان كل ما
كنت فيه منقطع وانه قد شغلني عن عبادة ربي فقال له
ما انت بما صنعت باحق مني ثم خلى سبيله ملكه وتبعه وكانا
يعبدان الله عز وجل وسألا ان يميتهما جميعا فماتا جميعا قال
عبد الله بن مسعود لو كنت ثم لاريتكم قبرهما بالنعت الذي
نعتني رسول الله صلى الله عليه وسلم **منثور ومنظوم من الحكم
الزهدية** روي ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف
ترى ما نحن فيه من هذا الامر فقال يا امير المومنين هذا سرور
لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك
وفرح لو [illegible] لم يعقبه ترح ولذات لولا يقترن بآفات
وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمان حتى اخضلت لحيته
بدموعه

يا متعبا كره الحرص * في الفضول وكاده
لو حزت ملحا رك [illegible] * وما حواه او افاده
ما كنت الا معنيا * ومغرما بالزياده
لم تصف في الارض عاش * الا لاهل الزهاده

فارض

فارض بالزهد فيها * فانما الخير عاده
حذار من دار هي شر دار حرامها سم ناقع وعذاب واقع وحلالها
نغص مما يسع واسلم وانتفع **شعرا**

دنياك دار غرور * ومتعة مستعاره
ودار كيس وكسب * ومغنم بالزياده
ورأس مالك نفس * فاحذر عليها الخساره
ولا تبعها باكل * ولبس عيش وشاره
فان ملك سليمان * لا يفي بشراره

ومن قصيدة لي في مثل ذلك

راعك الزهد انما الزهد حرص * لفضول تلهي وتطغي وتردي
ثم لا يكتفي الرهائن بالمضمون رزقا * وفي ضروب التعدي
مرحبا بالكفاف نحيا عفوا هنيئا * ثم لا مرحبا بحرص وكد
ما علمنا وقد راينا كثيرا * او سمعنا الى الشقا وبكد
ثم لا يستطيع ان يتعدى * قدرنا حمه من مردي

قيل ان حرقة بنت النعمان بن المنذر استأذنت
في القادسية على سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت
في جواريها وعليهن المسوح ومقطعات السلب السود فراى
منظرا شنيعا ولم يميز لها حرقة من جواريها لمشاركتها
اياهن في الزي ولبن رواهب فسلمن عليه فقال ايتكن الحرقة
فقالت انا ذه فقال انت حرقة فقالت نعم وما تكرارك استفهامي
ان الدنيا دار قلعة وزوال فما تدوم على حال تنتقل باهلها

تنقلا ونعقبهم حالا فحالا وانا كنا ملوكا هذه الارض نجبى الينا خراجها ويطيعنا اهلها مدة المدة وزمان الدولة فلما ادبر الامر صاح بنا صايح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذا الدهر ما بعد انه ليس من قوم اتحفهم بخيره الا اردفهم بغيره ولا اسعفهم بفرحة الا اعقبهم ترحه وانشدت شعرا

فبينا نسوس الناس والامر امرنا • اذا نحن فيهم سوقة نتنصف •
فان الدنيا لا يدوم نعيمها • تقلب تارات بنا وتصرف •

وبينما حرقة تخاطب سعدا رضي الله عنه اذ دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على سعد فنظر الى حرقة فقال لها انت حرقة التي كانت الفرس تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج المطرز بالوشي فقالت نعم فقال لها فما الذي دهمك واذهب محمودات شيمك وغور ينابيع نعمك وقطع سطوات نقمك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذوي الرفعة وتذل ذوي النعمة وان هذا امر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره ثم ان سعدا سألها عما قصدت له فاستوصلته فاجزل صلتها وقضى حوائجها ولما فصلت عنه سئلت ماذا لقيت منه فانشدت

صان لي ذمتي واكرم وجهي • انما يكرم الكريم الكريم

روضة رائقة ورياضة فائقة قال محمد عفى الله عنه

يذكر من زهد الملوك ما يناسب الخبر النبوي الذي قدمناه

ثم آنفا

آنفا وهو زهدهم في الملك مع نيلهم له وتخليهم منه ولا نعرض لذكر من زهدهم في نعيم الملك ولم يستبدوا منه الا باعباء سياسة الخلق بالحق واعني العبادة والزهادة مع ذلك كداود وسليمن في النبيين عليهم السلام وكابي بكر وعمر وعثمان في الخلفاء المهديين رضي الله عنهم فان هذا الفن خرج من هذا التبويب ولا يدرج في هذه الاساليب والله المستعان ثم ذلك ما بلغنا عن معوية بن يزيد كان على صغر سنه عالما عاملا متنبلا متنقلا قد ذلل نفسه للتقوى وعزف عن زينة الدنيا فصيرت الخلافة اليه وسنه يومئذ ستة عشر سنة فخامره الندم على تحملها واطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه فلبثوا عشرين ليلة يناظرونه فيه ويلهونه عن اظهار كراهيته فلما راوا انه غير منتهٍ وانه لا بد له من خلع نفسه دعوه الى ان يعهد الى احدهم فقال كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد تبعة عهدها ولو كنت موثرا بها احدا لآثرت نفسي ثم انه خطب الناس فذكر لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد اليهم ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته وانصرف فاغلق بابه ولم ياذن لاحد فلبث بذلك خمسا وعشرين ليلة وقيل عشرين ليلة ثم لحق بالله سبحانه وقال علي بن الجهم في ذلك من ارجوزة تاريخه

• ثم ابنه معوية المضعف • كان له دين وعقل يعرف •
• وادام شهرا ثم نصف شهر • وجاءه الموت عوض الامر •

وترك الناس بغير عهد   توقياً منه وفضل زهد
قال المسعودي رضي الله عنه عندي كلام علي بن الجهم يتضمن
ان معاوية مات ولم يخلع نفسه والمعروف ما ذكرته وانما
قال معية لان الناس استضعفوه لتركه الخلافة وكذلك
كنوه ابا ليلي وهي كنية المستضعف كما ذكرته وبلغنا
ان السبب الباعث له على الزهد في الخلافة والنبذ لها انه
سمع جاريتين له يتلاحيان وكانت احداهن بارعة الجمال
فقالت الاخرى لقد اكسبك جمالك كبر الملوك فقالت لها
الحسنا واي ملك يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك
فهو الملك حقاً فقالت لها الاخرى واي خير في الملك وصاحبه
اما قائم بحقوقه وعامل بالشكر فيه فذلك مسلوب اللذة
والقرار منغص العيش واما منقاد لشهواته موثر اللذات
مضيع للحقوق مضرب عن الشكر فمصيره الى النار فوقعت
الكلمة في نفس معاوية موقعاً موثراً وحملته على الانخلاع
من الامر **قصة رائقة ورياضة فائقة قيل كان عدي**
بن زيد العبادي التميمي قد دخل ارض الروم رسولاً لملك الفرس
فاقتبس من علومهم وقرا الكتب وكان ذا مكانة من ملك الفرس
وكاتباً وترجماناً له وكان ابو زيد والياً على الحيرة وخليفة
المنذر بن ماء السماء فكان عدي بن زيد عند ملوك الحيرة مرتفع
لاجل ما ذكرناه في اعلا المراتب قالوا وحضر يوماً عند النعمان
بن امرء القيس بن عدي ملك الحيرة وهو بالخورنق والخورنق

فصر

قد فرغ منا ذكره فاشرف النعمان بن امرء القيس بن عدي على ما حول
الخورنق وذلك في فصل الربيع فتامل شيئاً ثم اقبل على عدي
بن زيد فقال يا عدي اكل ما ترى الى نفاد وزوال فقال عدي قد علم
الملك الامر على ما ذكره فقال النعمان واي خير فيما يفنى ويبيد
ثم قلما لبث ان تنصر وترهب وساح في الارض وقيل بل كان
معجباً بالزهد المسما شقائق النعمان واليه تنسب لانه كان
يتبع رياضه وتحميه وانه قصد يوماً من ايام الربيع عاسما
شقيقة قد كان كساها ذلك النور والشقيقة في رملة مستطيلة
فلما عاين تنضد ذلك النور في رياضة منابته وتموج حمرته
وحصن شوقه وتوجد بهبوب النسيم عليه وتناثر قطر
الندا من ارجائه راى منظراً ابهجاً فامر ان يبسط بازا تلك
الشقيقة بساط موشى من الحرير فكما كان روضة مختلفة
باصناف الزهر ونصب عليه قبة من الديباج الاحمر قد حفت
من المقاعد والحشايا والنمارق والوسائد بما يضاهيها ويجانسها
ولبس من الحرير المصبوغ بالبهرمان وهو العصفر افضل ما يمكنه
وجلس في قبته تلك مواجهاً للشقيقة وله ندمائه وملهوه وعنده
عدي بن زيد فشرب وطرب ووثب فيه الراح فارتاح ثم اقبل
على عدي يخاطبه بما ذكرناه انفاً فلما سمع عدي مقالته اقبل وصلة
من عظة بما حكيناه وازمع الزيادة في ايقاظه من غفلته فامهله
حتى انقضى اربه في مجلسه ذلك فركب فسايره عدي الى ان مر بقبور
بظاهر الحيرة فقال عدي للنعمان ابيت اللعن ايها الملك اتدري

ماتقول هذه القبور فقال لا قال عدي انها تقول

ايها الركب المخبون • على الارض المجدون •
كما انتم كنا • وكما نحن تكونون •

فلما سمع النعمان مقالته راجعته فكرته السالفة وظهر عليه الانكسار ثم مر بشجرات متناوحات بنهي ناحية فيها عين جارية فقال عدي للنعمان اتدري ماتقول هذه الشجرات ابيت اللعن فقال عدي ماتقول فقال عدي انها تقول شعرا

من رانا فليحدث نفسه • انه موف على قرب زوال •
وصروف الدهر لا يبقى لها • ولما تاتي به صم الجبال •
رب ركب قد اناخوا حولنا • يشربون الخمر بالماء الزلال •
والاباريق عليها فدموا • وعتاق الخيل تردى في الجلال •
عمروا دهرا بعيش حسن • امنى دهرهم غير عجال •
ثم اضحوا عصف الدهر بهم • فكذاك الدهر يردي بالرجال •

ويقال ان ذلك كان بينهما في مواطن اخر وانه اشار بقوله هذا الى قبور عما اشار اولا قيل فلما بلغ النعمان تنصر قال لعدي اذا كان السحر فاحضر فان عندي خبرا اطلعك عليه فلما كان السحر حضر عدي فوجد النعمان قد لبس مسحا واخذ اهبة السياحة فودعه وذهب ولم يعلم له خبر وعدي الشاعر المترهب هو النعمان بن المنذر الاكبر ولم يدركه عدي ولكن ذكره في شعره والذي ادركه النعمان بن المنذر الاصغر وان كان عدي نبه عما حكي عنه تنبيها

اقتضى

اقتضى تنصره لا سياحته بل هو الذي قتل عديا وبقي في ملكه الى ان قتله كسرى والله اعلم اي ذلك كان وبالجملة ففي ذلك يقول عدي بن زيد • ايها الشامت المعير بالدهر انت المبرأ الموفور •

ام لديك العهد الوثيق من الايام ام انت جاهل مغرور •
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور •
ثم صاروا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور •

وروي ان ملكا من ملوك اليونانيين قام في منامه في بعض العدوات فاتته قيمة ملبسه بثيابه فلبسها ثم ناولته المرآة فنظر فيها فراى شيبة في لحيته فقال لها هات المقراض يا جارية فاتته فقص الشيبة فتناولتها الجارية وكانت اديبة لبيبة فوضعتها في كفها واصغت اليها اذنها ساعة والملك يتاملها فقال لها ما تصغين فقالت اسمع الى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها لمفارقة الكرامة العظمى حين سطح بها الملك فاقتصاها فقال الملك فما الذي سمعت من قولها فقالت زعم قلبي انه سمعها تقول كلاما لا يجترئ لساني على النطق به لاتقاء سطوة الملك فقال لها الملك قولي على امنة وعدم توق ما لزمت الوقار واسلوب الحكيم فقالت انها تقول ايها الملك المسلط الى امل قصير اني كنت طننت بابك البطش في الا عندا علي ولم اظهر على سطح خدك حتى نصبت وحضنت بعض حتى اوجرني وعهدت الى بنائي في الاخذ بثاري عهدا وكان قد حرص فجعلني الاخذ فيك اما باستيصال

واما بالقبض لذاتك وتخفيف قوتك حتى تنفذ الهلكة
راحة فقالت لها الملك اكتبي كلامك هذا فكتبته له فتصفحه
مرارا ثم نهض مبادرا فاتا هيكلا من الهياكل التي يعظمونها فتزع
منه ملبس الحكم والملك وتزيا بزي نساك الهيكل وبلغ
ذلك اهل مملكته فبادروا اليه وطالبوه بالعود الى محل
مملكته وتدبيره فامتنع عليهم وسالهم اقالته
وتمليك غيره فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصطلح معهم النساك
على ان يتركوه في ذلك الهيكل يعبد ربه ويتكفل بما يستناب
في مثله في امور رعيته ويلي غيره ذلك بنفسه فلبث بذلك
الى ان هلك رحمه الله تعالى روضة الفقه ورياضة فايقة
بلغني ان ملكا من ملوك اللاذ كان كافرا شديد العتو
والكبر حديث السن مستحكم العزة وكان اذا ركب لم يستطيع
احد ان يرفع صوته الا بالثنا عليه والشكر لاحسانه وكان
له وزير نصراني مؤمن يكتم ايمانه ويتحير وقتا يمكنه فيه دعوة
ذلك الملك الى الله سبحانه وتعالى فركب الملك يوما فسمع شيخا
قد رفع صوته لبعض شانه فقال للشرط خذوه فلما سمع اخذ الشيخ
قال ربي الله فقال الوزير للشرط خلوا عنه فاشتد غضب
الملك على وزيره ولم يمكنه الا ذكار عليه في ذلك المقام لئلا
يظهر للناس ان الوزير يخالفه فيما يامره به وسكت ليوهم الناس
ان الوزير انما امر بما يريد الملك فلما انصرف الملك الى مستقره
احضر الوزير فقال الوزير له ما دعاك الى مناقضة امري

لتشهد

لتشهد من عبيدي فقال الوزير ان لم يجعل الملك ريبته وجد نصيحتي
واشفاقي وتحوطي عليه فيما اتيته فقال الملك اري ذلك فاني
لا اعجل عليك فقال اريد الملك ان يحتجب في مجلسه هذا ويكون
بحيث يرى ويسمع من جانبه ففعل الملك ذلك ثم ان الوزير
احضر قوسا صنعها للوزير للملك بعد خدمه وكتب الصانع
اسم نفسه عليها فناولها غلاما بحضرته وقال للغلام ابي
بحضر صانع هذا القوس فاذ احضروا قبلت بالمحادثة فاقر
الاسم الذي على القوس جهرا حتى نعلم ان صانعها قد سمعك ثم
اكسرها واحضر القوس وفعل الغلام ما امره الوزير فلما
كسر القوس لم يتمالك صاحبها اذ ضرب الغلام فسجد فقال
الوزير ويحك تضرب الغلام بحضرتي فقال القواس ان القوس
عملي ايها الوزير وهو في غاية الحسن والجودة فلاي شي كسرها
فقال الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال بلا قد اخبرته القوس
انها عملي فقال الوزير وكيف اخبرته القوس فقال هذا خطي
بذلك عليها وقد قراه وانا اسمعه فصرف الوزير
القواس ثم اقبل الوزير على الملك فقال له قد رايت الملك وجد نصحي
له واشفاقي عليه عما كان مني وان الملك لما اراد ان يسطو على
الشيخ اخبره الشيخ ان الله ربه فخفت على الملك ان يبطش به
رب الشيخ فليس يقوم لبطشه شي فقال الملك للوزير وهل للشيخ
رب غيري فقال الوزير الم تره ايها الملك شيخا والملك شابا فهل
كان هذا الشيخ قبل ان يولد الملك لا رب له فقال الملك بلا

كان ابو الملك ربه فقال الوزير فما بال المربوب يبقى بعد هلاك
ربه فقال الملك للوزير لقد قدحت في كبدي بزند غير صالد
ولقد علمت الان انه يجب ان يكون للمالك والمملوك رب لا يزول
فهل تعرفه فدلني عليه فقال الوزير نعم انا اعرفه فقال الملك ادللني
عليه اكون لك تبعًا ما بقيت فقال الوزير اما دلالتك عليه
فاول ما يجب لك علي واما اتباعك لي فلان فعلته فانما يدفع عنك
بهجته ما بربك ثم ان الوزير تلطف في دلالتك على الله سبحانه وشرح
الله صدر الملك بقبول ذلك فامن بالله سبحانه ثم قال لوزيره
أما لربنا خدمة اذا احسنها عبده حظي عنده فقال الوزير بلا
ان له وظايف عبادة اذا امر بها خلقه ورضي لهم فعلها ووعدهم
عليها رضوانه والقرب منه وذكر له الصلوة والصيام وغير
ذلك من شرايع المسيح عليه الصلوة والسلام فجعل الملك يراض بها
نفسه حتى رسخ في قلبه علمها وتمرن على العمل بها ثم انه
قال للوزير مالك لا تدعو الناس الى الله كما دعوتني فقال ما
منعني ايها الملك ان الان امة ذات قلوب قاسية وهموم
قصية ونفوس عصية ولست امنهم على دمي ان تقوم لهم بذلك
فهي فقال الملك اني فاعل ذلك ان لم تفعله انت فسأله الوزير
ليعلم الملك انهم لم يردهم هيبته عن ان يردهم عنه وساجعل
نفسي وقاء لنفسه وانهم سيقتلوني لا محالة فلا يجترئ
الملك عليهم بمثلها بعدي ثم ان الوزير استدعى الى داره
وجوه تلك المملكة وذوي تدبيرها وولاة احكامها

واهل

واهل النسك والحكم منها فلما فرغ واجتمعوا اليه في داره قام فيهم
خطيبًا بالدعوة الى الله سبحانه فثاروا اليه فقتلوه ثم صاروا الى
الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له انا ظننا ان
الملك على مثل رايه فيجب معرفة ما عندك فارضاهم بالقول وادهن
لهم وصوب رايهم في قتل الوزير فانصرفوا عنه راضين وقلما
لبث الملك ان نبذ ملكه ولحق بالرهبان وكان معهم الى ان توفاه
الله عز وجل **روضة رائقة ورياضة فائقة نيران**
اردشير بن بابك بن ساسان ولد له ولد في حداثة سنه
وبدو امره ولدًا اسماه بابك بما سما ابيه فنشا رايع الصورة بارع
الخلق فشغف به اردشير حبًا والزمه فيلسوفًا ماهرًا في
الفلسفة راسخًا في الحكمة متخليًا في الزهادة وساله اردشير
ان يتخذ ولدًا فاقتطعه الفيلسوف عن ابيه وولي تربيته
ولم يزل به الى ان استطلع باعباء علوم الفلسفة وتبوى مثوى
الزهد ولما سعى اردشير لجمع كلمة الفرس فتم له المراد واعطاه
ملوك الطوايف القياد استعمد راى ولده بابك فيما نابه من
المهمات فظفر منه باضعاف امنيته الا انه كان لا يبتهل
وينيا فهو الا في بعض الدساتير يصنع المعاني وتعريفًا بثوسها
وتخويفًا من عواقبها وكان اردشير منغص المرة بولده لاجل ذلك
فكان يقال من صحب الملوك بما يكرهونه فلا يكرهونه وكان
يقال قلما يتوفر فكر الملوك على امر واحد حتى تطول عليه عنايته
على انفراده وذلك لكثرة ما يتجاذب خواطرهم من الامور

حتى اذا توفر فكره على امر واجتمع له اوشك ان يحكمه فاذا رايته
قد اجتمع الامر وتوفر عليه فلا تعرض له بغيره فيحول بينه وبين
الفرصة التي يتوقع ظفره بها قيل وكان ازدشير يحتمل ذلك لولده
ويتعقبه ويتأمله ويبقا عليه فقال له يوما يا بابك اتعرف
اباك فقال بابك ان لي ابا هو الملك السعيد ابوين ابا كان عليه
كوني وابا كان عليه بقاي وانا بهما عارف فقال ازدشير
صف لي اباك الذي كان عليه كونك فقال بابك ما معناه انه
ملك ملا العيون بهاء والاسماع ثناء والصدور رهبة
والقلوب محبة ذو رافة شاملة وقضية فاضلة وسيرة
عادلة وحزم اخاف قلوب المؤمنين من اجسادها وسيوفهم
من اغمادها وامن البرين من السباع الضارية والافاعي الجارية
والاشباح رزق بسيفه وحكمه فقال ازدشير لابنه بابك
صف لي اباك الذي كان عليه بقاؤك فقال بما معناه انه حكيم
عرف فضيلة نفسه فكرمها وعني بها فخدمها فقال ازدشير
حيوانا غير خادمة لنفسه فقال بابك ما معناه انه تامل نفسه
فراها ارضا اريضة انيقة لكل خير خليقة ذات مياه نابعة
وانهار فارعة واثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل الا
انه الفاها مع الاسد الغضب ونمور الجهل وذئاب الغدر
وخنازير الشره وكلاب الحرص وسباع الحمق وحيات الظلم
وعقارب الحسد فنفا عنها هذه الآفات كلها وحصنها
منها فصارت خيرا محضا لا شر فيه فلما سمع ازدشير

مقالة

مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد فيه فابان له مساده
ثم اقبل عليه فقال له يا بابك ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف بها
ان يكون مربوبا مقهورا مع تمكنه من ان يكون ربا قاهرا
فقال بابك ما احذر الملك السعيد بالصدق واحراه بالاصابة
ولكن انا اذ زين الملك ضربت له مثل الرب القاهر والمربوب
المقهور فقال ازدشير هات ما عندك من ذلك فقال بابك ذكروا
ان فيلا كان مكرما عند بعض الملوك وكان ربيبا انسا اديبا
وانه صيد لذلك الملك فيل وحشي فعيبت على السواس رياضته
وتعذر عليهم تانيسه فراوا ان يجعلوه مع ذلك الفيل الانيس
الاديب ليانس به ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك فازداد
نفارا وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه
والتجويع له ليذل فينال منه الجهد وان الفيل الربيب
قال له يوما لقد جنيت على نفسك شرا ولكنه كان يقال
العزة بابا تحجب الالباب عن صوب الصواب وكان يقال الجاهل
ميت الاحيا وذلك لتهوره وفساد تصوره وكان يقال لا
تبح زامنك غير طالبها كما لا تنكح كريمتك غير خاطبها
فقال الفيل الوحشي للربيب ما الذي تراه لي قال يطيب
علفك ويستعذب موردك وينصرف مسيكتك ويتوكل
خدمة فلوتك ويراعون شؤونك ويجعل لبروزك اوقاتا
معلومة مسطورة ويحتشد الناس لها ويجلل الديباج ويضرب
بين يديك الالات بهيج الطرب ويبعث على الاختيال

ثم تبرز مكرما معظما لا يعارضك دابة ولا تهب للهون عليك
هابة فقال الوحشي للربيب لاخبرني ما ذكرت لي فترع
عن توحشه ونفاره وتأتا لما يراد منه فكرم وعظم ونعم
ولما وصل يوم الزينة بولغ في تكرمته وتنظيفه وحلل بالديباج
وشد على ظهره سرير مزين وصعد عليه المقاتلة عليهم
الدروع والخوذ وبأيديهم عمد الحديد وركب على عنقه
دراع بيده كلاب والبست قرطسته بالزرد وشد
على طرفها قايم سيف كبير وقبض سواسه على نابيه
عن يمين وشمال وبأيديهم عمد الحديد وعليهم عمد الحديد
الدروع وضربت بين ايديهم به الطبول والصنوج وصار
على ذلك الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد الى ماواه قال
لذلك الفيل الربيب قد تكون حقيقة كلما حدثتني عنه
ورأيت زيادات احببت ان اسالك عنها قال ما هي قال
ما كانت تلك الاثقال الذي حملت على ظهري فقال الربيب
اولئك المقاتلة على ظهرهم سرير ومعهم الات القتال
قال فما ذلك الذي شد فيه قرطستي والذي شد على
طرفها وما اراد القابضان على نابي والراكب على عنقي
فقال له الربيب اما الذي شد على قرطستك فدرع
يحصنها لانها مقتل واما الذي ربط اليها السيف فسيف
يضرب به العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذبان
عنك الاعدا ويعينانك على الاقدام واما الراكب على عنقك

فيهديك

فيهديك الى الوجه الذي يراد منك سلوكه فقال الفيل الوحشي
لامر ما طيب علفي واستعذب موردي وتقلب بدني
ومسكني ونوم باسي وجمل ملبسي ولولا امر انقوم
خيره لبشره ولا يبقى تقعد بضره وبعد فلا كونن احرص
الحراص على التماس الخلاص وانه كان يقال من عني بغيره
ليس يحترس من انقياد لذاته وخدم سوداته وكان يقال
اذا كانت الحاجة تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه فقد حاجة
بالناس عبيد الدنيا واعبدهم اليها احوجهم اليها وكان
يقال اذا كانت العبيد كاينة عن حاجة المعبود والحاجة
اليه فاعبد العبيد ثلثه الملك والمحب والمغرم عليه
لاستيلا العبودية والحاجة اليه على ظاهرهم وباطنهم
والملك اعبد الثلاثة لان الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره
في تدبيرها وتاديبها وصونها من عدوها وعونها على مصالحها
وردع ظالمها ونصرة مظلومها وتامين سبلها وسد ثغورها
والاعداد لما يبعثها في الحدوث ولما يحصنها في الحروب وجبا ثد
فضول اموالها وحرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب هيجها
وراحة عليك فسها ورهجها هذا مع شدة حاجة الملك
الى رعيته في صون نفسه ولنفسه امره وامحاض نصحه ودفع
عدوه فلما سمع الفيل الربيب مقالة الوحشي تعين له انه
اولى منه بالعزة والنهور وفساد القصد التصور وقال بحق قالت
الحكما الجهل يجلب العثار ويقلب الاعيان وقالوا ابن الـ

المخطي مرحوما بالمخاطرة الاعجاز بخطائه فاذا العجب عجب
بم قال للوحشي اني اكافيك عن نصحك اياي وتبصرتك لي بان افتح
لك باب الحيلة في نجاتك لاني ابصر باخلاق الانس وعادتهم
واهدى الى وجه الخلاص منهم وسا تبعك واكون خادما لك ما تبيت
ثم انهما اتفقا على ان تتظاهر بالزجر وهو داء يصيب الفيلة والابل
في اشعارها فاذا اقامت ارعدت افخاذها حتى تكاد تسقط فتعالج
بالفصد وتحمل على السرطون فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع
السواس الى مداواتهما واخرجوهما الى الصحرا فسيروهما فلما
بعد الفيلان عن العمارة وامكنهما فرصة الهرب شردا فلحقا
بالفيلة المتوحشة فهذا ايها الملك السعيد مثل ما ذكرت
فلما وعى ازدشير مقالة ولده اطرق مغموما يتفكر في
امره وقد يئس من اجابته الى ما يريد منه ثم انه نهض واخذ
بابك باتباعه فاتبعه حتى ادخله بيوت امواله ومستودعات
ذخايره فجعل يريه اياها ويشهده على ما يراه منها حتى اتى
على اخرها ثم اقبل عليه فقال له يا بابك لمن تترك هذا
المال تتركه لمن هو احب اليك من نفسك واحق بها منها فقال
بابك ان اذن لي الملك السعيد ضربت لك مثلا فيه جواب
ما سالتني فقال له ازدشير هات ما عندك في ذلك فقال
زعموا ان راعي بقر كان يرعاها على اهل قرية فيحسن لبقرهم
السراح والمراح فلبث كذلك برهة طويلة من الزمان وهم
به مغتبطون وعليه مثنون لما يعرفون من بركة سعيه

ولمن

ولمن رعيه وكانوا لا يسالونه عن شي من امر بقرهم الذي اسلموها
اليه رضا به وطمانينة الى امانته وكفايته وكان يقال
الاحسان والامانة مطلقان بكل لسان نافعان عند كل انسان
قالوا وكان الراعي ياوي الى صومعة راهب يتبتل في ظلها ويكثر
التاوه والانين لما يناله من التعب لما يعانيه وكثر ذلك
منه على الراهب الى ان خامرته له رقة فاطلع عليه يوما فقال
له ايها الراعي ما لي اسمعك تكثر الانين والتاوه فقال الراعي
ذلك لما اتجشمه من حفظ هذه البقر والذب عنها وتتبع
المرعى الخصيبة لها فاني اقوم من ذلك بما يعجز عنه غيري
واحمل نفسي على المشاق في حصول نماها فقال الراهب وما
الذي دعاك الى الاضرار بنفسك في صلاح سواها ونفسك اقرب
اليك واحق بسعيك فقال الراعي اني لو لم افعل ذلك لما بلغت
هذه البقر من السمن والوفور الى ما ترى ولقد كانت يوم وليت
امرها قليلة العدد كثيرة العجف قليلة الضروع والالبان
فما ولا تملا انا فقال الراهب لقد حدت عن مسالتي حيث
من لم يوطها قبالا ولم يلوها بالا اني انما سالتك عن سبب
حملك على نفسك لغيرها وايثارك من سواها بخير فاني خبير
بشديد عنايتك وشديد اعتنايك فاخبرني الان عما
افادك جميل سعيك وشديد رايك فقال الراعي افادني الغنا
لهذا البقر اني اكل من لحومها ما يسقط منها ما شيت واطعم
من شيت واتصرف في البانها وغير ذلك من منافعها تصرف

المالكين وانتجع بها من الارض حيث شيت فهي على الحقيقة
ذو عبدي فقال الراهب هكذا ازعم راهب كان ذا بليتم له بطلان
زعمه فقال الراعي اخبرني عن ذلك فقال الراهب ذكروا ان رجلا
كان سايح مترهب نزل في سياحته بدير كان حسن البنا متخلخلة
حيطانه وهو مكان طيب نزه وبين يديه ارض اريضة
فيها ذات ماء عذب وفي ذلك الدير نفر من ضعفاء الرهبان
ومساكينهم فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن جلدا
معمارا فاصلح ما تثلم من جدارات الدير وعمر الارض التي عنده
فاحتفر سواقيها واجرى ماءها وغرس فيها صنوف الاشجار
فدرت منافع الدير وقصده الرهبان فاوطنوه وسادهم
ذلك السايح واتخذ العبيد والدواب والة عمارة الارض
واستصاف الارض الدير ما جاورها وغرس ما بينهما من الكرم والزيتون
شيا كثيرا وعظمت المنافع وكثرت الجباية ورغب
السايح واتخذ العبيد والدواب في جميع الدنيا فحرم المساكين
واتخذ كنزا نفيسا في اقرب ومدن وكان يقال المال كالما
فمن استكثر منه ولم يجعل له منفذا يشرب فيه ما زاد على
قدر الحاجة غرق فيه وكان يقال المواساة في المال والحيلة
عوده بقاءهما ولما عامل الزاهد السايح من كان حوله عم معه
الدير بالحرمان واستاثر دونهم بالمال اكثروا شكايته
ففتحت القالة فيه واجترا عليه من كان يهابه وافضت
الحالة بهم الى مكاشفته ومجاهرته ودعوه الى الانصاف والمواساة

مما

ثما يبدو فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي كسبته بكدي
واستفرغت في تحصيله جهدي فقالوا الدير هو بالله ولا
لاحد منا فيه حق ولك الفضل علينا بتنميته وصونه فقال لهم
ستعلمون مال من هو ولمن الدير الي ام عبيدي فعقروا الف
دابة والف بينونة والف لوزة فاصبحت مصرعه في
اشنع منظر فاتوا السايح واخبروه وهم لا يعلمون انه الفاعل
لذلك فزجرهم وقال لهم انه مالي ولا عليكم منه بقي او ذهب
تعلموا انه عمله فثاروا عليه فضربوه ثم طردوه فخرج
من الدير على الحال الذي دخله عليها فلما حصل بظاهر الدير
سرح طرفه راعيا فتنفس الصعداء تحسرا على ذهاب شبابه
وقوته وريعان عمره فيما لم يجد عليه طايلا ثم كانت عاقبته
الى ان بلغه الانسلال منه على حال لم يرها وفاقه وضعف
نكال نحو قالت الحكما الدنيا سبيل لعبر ولا يعمر ومن سالك
لا يخفر سالك وقالوا الدنيا خير من غيرها باعتبار افضا الى دار
ونيلها وقيل الدنيا قريب سلبها من سلمها وحفظها
من عطفها والعاقل من اهلها من استعد لحبلتها ولبس لها العتاد
الا التاهب لنعيمها المكتوم وفراقها المحتوم والاستكثار من
ذلك بنقص ذلك وقيل ان الخروج من الدنيا مما لا يطيب به
نفس لكن قد يتها رياضة النفس عليه ~~ماله استشعار الزهد~~
باستشعار الزهد في الفاني العاجل والاستكثار من العمل
النافع في الاجل وقالوا التنعم في الدنيا بضاعة خسر زوالها

فولد عبيد اعتمادها ثم ان الراهب عاد الى سياحته فقل ما لبث
ان هلك فبين فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم المثل
الذي ضربه له واستبصر فيما تضمنه من حكمه قال حرمت من
ما ح... الاخر والان في التصريح بحالي عندك فقد ادبتني كتابا تد
... هيا بي للقبول وجليت عن فطنتي صدا غيري فقال
الراهب للراعي قد اوضحت لك غلطك في دعوى ملكك ما
استرعيت له واستعملت فيه وامتننت عليه وكشفت لك
ما استتر عنك من قبيح جهلك على نفسك لتعرفها متعاضا عن
ذلك اعواضا قليله واغراضا مستحيله فازدد النظر الى
ملاحيها واعمل في خلاص نفسك من السباع الضاريه والافاعي
الـ[illegible]ريه والكلاب العاويه والعقبان المختلسه والشياطين
الموسوسه والاشراك الحابله والسموم القاتله لتنجوا
من [illegible] وتعلو الى عالم الاسرار فلما راى ما بك من اهتماله الى
هذه الغايه سكت عن القول واطرق ازدشير هنا ملا ما
تصرف فيه ولده من المقال وضرب له من الامثال ثم نهض مضطرب
لبال مصطرم البلبال وخرج بالكمد [illegible] ولم يعلم ابن طاح
نقال الفقير الى الله الغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر عفى الله عنه
اى والحمد لله قد انتهيت بعون ما اوردت الى غاية ما اردت
وانا اعوذ بالله من عذاب الاسهاب كما اعوذ به من حجاب
الاعجاب واستكفيه عوز السوال كما استعفيه من عول الجواب
واستدفع به فساد الخطا كما استدفع به فساد الصواب

واتوب

بيانات المخطوط
اسم الكتاب :سلوان المطاع في عدوان الأتباع
المؤلف : محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي
المقدمة : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبي ونعم الوكيل
. . . قال الفقير إلى الله تعالى ، والغني به ، محمد بن أبي محمد بن ظفر عفا الله عنه
الخاتمة : فقال الفقير إليه ، الغني به ، محمد بن أبي محمد بن ظفر عفا الله عنه ، إني والحمد لله قد انتهيت بغية ما أوردت ، إلى نهاية ما أردت ، وأنا أعوذ بالله من عذاب الاعذاب ، كما أعوذ به من حجاب الإعجاب ، واستكفيه غول السؤال كما استكفيه غول الجواب ، واستدفع به فساد الخطا كما استدفع به فساد الصواب ، وأتوب . . .
رقم النسخة : 333850
عدد الأوراق: 66 لوحا

. مصدر المخطوط : مخطوطات (بيت آل حجر الغامدي) المملكة العربية السعودية ــ بلجرشي ــ قرية البركة
تصوير : خالد بن عمر الفقيه الغامدي /ملتقى أهل الحديث / http://www.ahlalhdeeth.com